

روايات مصربة للحب

رجل المستحيل

المحترف

103



نبيل فاروق

الأسطورة
المؤسسة العربية الحديثة
الطبعة الأولى
الطبعة الثانية

103



د. نبيل فاروق

رجل
المستحيل
سلسلة
روايات
بوليسية
للشباب
زافرة
بالأحداث
المثيرة

103

فاسل

www.dvd4arab.com

في سائر دور القراءة والاعلام

المحترف

03459

لماذا يطلب رجل مخبرات إسرائيل
حق اللجوء السياسي لـ (مصر) ...
كيف يواجه (انهم) وحده جبارة
(الموساد) والأمريكيين في (أفرويل) ...
نرى لمن يكون النصر هذه المرة ، ومن
يستحق في النهاية لقب (المحترف) ...
اقرأ التفاصيل المثيرة وقاتل بمشاعرك
كلها مع الرجل .. (رجل المستحيل) ..



العدد القادم : الإعصار الأحمر

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخبرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه، هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسمم إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لسبب لغات حية، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التفكير و(المكياف)، وقبادة السيارات والطائرات، وحتى النواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعددة. لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخبرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - مهمة أخيرة ..

(تل أبيب) .. الرابع من يوليو .. انطلقت سيارة أمريكية سوداء، عبر شوارع المدينة، يقودها سائق ضخم الجثة، بارد الملامح، يغلى عينيه بمنظار داكن، شديد الشبه بالثوفاذ الجاليتية للسيارة، التى تحجب رؤية من بداخلها تمامًا، وإن لم تكن لفضول المارة كثيرًا، فهم يعلمون أن المسار الذى تتخذه السيارة لا يقودها إلا لبعثة واحدة .. مقر المخبرات الإسرائيلية ..

ولقد اعتادوا ذلك الفضول والفوه، ولم يعد يتوجع فى جنب انتباههم، أو إثارة التساؤلات فى أعضائهم .. أما ذلك الجالس داخل السيارة، فقد انهمك فى مراجعة بعض البيانات الهامة، على شاشة جهاز الكمبيوتر المحمول، المنمى بحقيقته، ولم يتابع مسار السيارة، التى انحرفت إلى شارع طويل، تتوسطه بوابة أمن كبيرة، توقفت أمامها لحظة، ليدبر السائق بطاقة، وبطاقة الأشقر، الذى أطلق الكمبيوتر، ووضع حقيقته إلى جواره، وهو يقول:

- بخير كالمعتاد.

ثم اتخذ مقعدًا جانبيًا، وفتح حقيقته، ليخرج منها ملفًا صغيرًا، فثمه للمدير، قائلا:

- هذا هو الهدف الجديد.

التقط مدير (الموساد) الملف، وهو يقول:

- طبيعتك لم تتغير يا مستر (جير) .. ما زلت عملنا للغاية، ولا نضيع لحظة واحدة.

تجاهل (جير) العبارة، وكأنه لم يسمع حرفًا واحدًا منها، وهو يتابع:

- اسمه (بيرو ستاسي) .. سياسى أمريكى، وتعاطف مع بعض المنظمات العنيفة فى (فنزويلا)، ويصر على عقد مؤتمر صحفى فى العاصمة (كاراكاس)، فى أثناء زيارته لـ (فنزويلا) فى الأسبوع القادم، وما ينوى الإفصاح عنه فى ذلك المؤتمر بالغ الخطورة، ويمكنه إخراج الحكومة الأمريكية بشدة.

جلس المدير خلف مكتبه، قائلا:

- فهمت .. إذن فهو بوق جديد، ارتفع صوته، ويات من المحتم إسكاته.

نهض (جير)، قائلا:

- كل المعلومات والصور فى الملف، والمؤتمر الصحفى فى التاسع من يوليو.

- هل من مشكلات؟

ألقى حارس البوابة نظرة على الأشقر الطويل، ذى الوجه المربع والملامح القاسية، وقال بلهجة مهذبة:

- مطلقًا يا مستر (جير) .. إنهم بانتظارك فى الداخل ..

ثم أشار إلى السائق، مستطردًا:

- اعبر المعبر الأسير، وتوقف عند ساحة انتظار السيارات.

اتخذ السائق المسار، الذى أشار إليه حارس الأمن، ولم يكد يتوقف فى ساحة انتظار السيارات، حتى استقبله حارس آخر، ففتح باب السيارة الجانبي، وهو يقول فى احترام:

- مرحبًا يا مستر (جير) .. تفضل.

حمل (جير) حقيقته، وتبع الحارس إلى مبنى قريب، واستقل معه المصعد إلى الطابق الثالث، وعبرًا معًا بوابة أمن إلكترونية، قبل أن يصل إلى مكتب مدير (الموساد)، وهنا اتسحب الحارس، واستقبل المدير (جير) بالترحاب، وهو يصفحه قائلا:

- صباح الخير يا مستر (جير) .. كيف حال الجميع عندكم، فى المخبرات المركزية الأمريكية؟

ارتسبت ابتسامة باهتة على شفתי (رونالد جير)، وهو يجيب:

عقد مدير (الموساد) حاجبيه ، وهو يقول :
- مهلاً يا مستر (جير) .. لماذا تتعامل معنا دائماً
وكأننا منقصة للقتلة المأجورين ؟ .. لماذا لا تقومون
باغتيال ذلك الرجل بأنفسكم ، ما دام وجوده يفتلكم إلى
هذا الحد ؟

رمقه (جير) بنظرة صارمة ، قبل أن يقول :
- كنت أظن أنه توجد اتفاقيات تعاون بيننا ، تحصلون
بموجبها على طن من المعلومات سنوياً ، مقابل بعض
الخدمات البسيطة .

قال مدير (الموساد) في حدة :
- تكصد بعض الخدمات الحقيرة .
صمت (جير) لحظات ، قبل أن يجيب في صرامة :
- إننا نعتمد على كفاءتكم ، في مثل هذه الأمور .
ثم حمل حقيبته ، مستطرداً في بروه ، وهو توجه إلى
الباب :

- فأنتم خبراء فيها .
ازداد العقد حاجبى مدير (الموساد) في غضب ، ولكنه
لم يعترض ، واكتفى بمراقبة (جير) ، حتى غادر المكان ،
ثم غمغم في سخط :
- غذا سترك أن هذا ليس المجال الوحيد ، الذى
نمتلك فيه خبرات واسعة .

وضبط زر جهاز اتصال داخلى أمامه ، قائلاً :
- أريد (ياثيل) فوراً .
لم يمض ربع الساعة ، حتى تلقى إلى مكتبه رجل
رياضى القوام ، وسيم ، ممشوق القامة ، استقبله فى
اهتمام ، قائلاً :

- لديك عملية جديدة يا (ياثيل) .
زوى الرجل ما بين حاجبيه ، مغمضاً :
- عملية جديدة ؟ .. ولكن يا سيدي ..
قاطعته المدير في صرامة :
- ولكن ماذا ؟

زفر (ياثيل) في توتر ، قبل أن يجيب :
- كنت قد تقدمت بطلب تقاعد ، و ...
قاطعته المدير في سرعة :
- الطلب مرفوض .

بدا التوتر العنيف على وجه (ياثيل) ، وهو يقول
في عصبية :

- ولكننى أصّر عليه يا سيدي .
صاح المدير في وجهه :
- ماذا تقول يا رجل ؟ .. كيف تفكر في التقاعد ، ولم
تتجاوز الأربعين من العمر بعد ؟ .. ثم إنك أفضل قاتل

- نعم يا سيدي .. (نيثا شيريدان) ، الصحيفة بجريدة
(كول هاجر) .. إننى أحبها منذ زمن ، وهى تبادلتنى
الحب ، ولقد قررنا ..

قاطعته المدير في حدة :
- قررتما ؟ .. أهذا قول يصدر عن محترف ؟ .. ألم
يعتدوك أبداً أنه لا أحد يترك عملنا هذا بإرادته وحده ؟
قال (ياثيل) متبرماً :

- لقد تقدمت بطلب رسمى .
رمقه المدير بنظرة طويلة ، وعقله يعمل في سرعة ..
كان من الواضح أن الرجل قد منم حرفته إلى أقصى
حد ..

وأنه لم يعد يحتمل ..
ولثوان ، لم ينبس المدير ببنت شلة ، ثم لم يلبث أن
قال في بطء :
- فليكن .

تطلع إليه (ياثيل) في لهفة متسائلة ، فتابع في
هدوء :

- سأوافق على تقاعدك يا (بروزنسى) .
كاد (ياثيل بروزنسى) يقفز فرحاً ، وهم بشكر
رئيسه ، إلا أن هذا الأخير استمر في سرعة وصرامة :

محترف لدينا ، ورأسك يحوى من الأسرار والتفاصيل
ما يكفى لملء ذاكرة كمبيوتر بنكى ، فتيف ترغب في
قضاء سنوات العمر الباقية خاملاً متراخياً ؟

أجابه (ياثيل) في توتر :
- لقد سئمت هذا العمل يا سيدي .. لم يعد بإمكانى
الاستمرار .. لم أعد أستمتع بمهنة تعتمد على قتل الآخرين .
صرخ المدير :

- ماذا أصيبك يا رجل ؟ .. أنت محترف .. هل تنهم ؟ ..
محترف .. وأمثالنا لا يعملون لأنهم يستمتعون بعملهم ،
بل يعملون لأنهم تدرّبوا على هذا العمل بالتحديد ، ولأنهم
يربّعون منه الكثير .. والكثير جداً .

قال (ياثيل) في عناد :
- لست أكر يا سيدي .. لقد ربحت الكثير جداً من
عملى هذا ، ولم أعد أرغب في المزيد .. سأعتزل المهنة ،
وأستثمر أموالى في مزرعة صغيرة ، فى (أمريكا
الجنوبية) ، مع (نيثا) ، و ...

قاطعته المدير :
- (نيثا شيريدان) ؟
أوما (ياثيل) برأسه إيجاباً ، وقال متوتراً :

- ولكن بشرط واحد .

سأله (يانيل) في قلق :

- وما هو ؟

صمت المدير لحظة أخرى ، قبل أن يجيب :

- أن يتم هذا بعد العملية .

عاد حاجبا (يانيل) يتكلم ، وهو يتلع هذا الشرط ..

إنه فتل ما يطلبه المدير هو عملية أخيرة ..

عملية يؤدي فيها حرفته ، وبعدها يتقاعد ..

ولم يستغرق منه الأمر طويلاً ، بل أجاب بسرعة

وحزم :

- اتفقا .

ابتسم المدير في ارتياح ، وألقى إليه الملف ، قائلاً :

- هذ .. حاول أن تنفذ العملية بمهارة كبيرة ، فهي

صليتك الأخيرة .

أجاب (يانيل) في حماس :

- سأبذل قصارى جهدي .

قالها ، وغادر المكتب في خطوات سريعة ، مفعمة

بالحماس ، وهو يحمل الملف ، ولم يكذ يترك الباب

خلفه ، حتى ضغط المدير زر جهاز الاتصال الداخلي ،

وقال :

- أرسل لي (دار) .. (شيمون دار) .

واتجه إلى النافذة ، يتطلع منها إلى القنم الخلقى ،

مرآتها (يانيل) ، الذي قطعه متجهاً إلى قاعة التدريبات ،

وظل المدير في وقتته ، حتى سمع طرقات على باب

مكتبه ، فقال :

- ادخل يا (دار) .

دخل رجل المخبرات الخاص بالحجرة ، وأغلق بابها

خلفه في إحكام ، وهو يقول :

- في خدمتك يا سيادة المدير .

سأله المدير ، دون أن يلتفت إليه :

- بحرف حال سافداً يا (دار) ؟ .. هل شغيت من إمليتها

في العملية الأخيرة ؟

أجاب الرجل في صوت لا يحمل أية انفعالات :

- نعم يا سيدي .. لقد شغيت تماماً .

هز المدير رأسه متبهماً ، وقال :

- عظيم .. ساعدك إليك بمهمة جديدة إذن .

ثم التفت حاجبا ، وهو يستطرد في حزم :

- مهمة في (فنزويلا) .

وراح يطرح ما لديه ..

وبأنق التفاصيل ..

★ ★ ★

« يا لها من مفاجأة !! .. »

هتفت (نينا شيريدان) بالعبارة في فرح ، وهي

تصفق بكفيها كالأطفال ، قبل أن تكمل :

- إذن سنسافر معاً إلى (كراكس) .. يا لسعادتي !! ..

لم أكن أحلم بأجمل من هذا .

وتأنطت لراح (يانيل) في مرح ، مستطردة :

- أعتقد أن السماء قد استجابت لدعواتي ؟

ابتسم (يانيل) ابتسامة باهجة ، وهو يقول :

- من يدري ؟ .. ربما .. المهم أننا سنسافر معاً ، وأنتي

سأنتي آخر أصلي هناك ، قبل أن نسافر معاً إلى

(البرازيل) ، وتبدأ في إنشاء المزرعة ، التي نلحم بها

مذ زمن .

عادت تصفق بكفيها في مسعدة ، قبل أن تسأله بقعة :

- وما العمل ، الذي ستقوم به هناك ؟

صمت لحظات ، دون أن تختفي ابتسامته ، وقال :

- يمكنك القول بأنها عملية تصفية .

باغتها الجواب ، فغصمت مشدودة :

- تصفية ؟

انتبه إلى الأمر ، الذي تركته العبارة في نفسها ،

فاطلق ضحكة مفتحة ، وضربها إليه ، قائلاً :

سأله مجرد اصطلاح مجازي .. إنني ألتصد أنها عملية

تصفية أعمال .

هتفت :

- آ .. فهمت .

ثم عادت تضحك في مرح ، مستطردة :

- لست أصدق أننا سنقضي عمرنا كله معاً .

سألها بابتسامة شاحبة :

- أن يشعر هذا بالملل ؟

هتفت في حماس :

- مطلقاً .. المهم أن تكون معاً ، وألا تتشغل طوال

الوقت بعمك على .

صمت لحظة ، اكتست خلالها ملامحه بشيء من

الحزن ، قبل أن يجيب :

- لطفتي .. على لا يستغرق طويلاً في التمتع .

تأمنت صامتة بعض الوقت ، ثم التفت منه ، وسأته

في قلق عجيب ، أيقظته في نفسها غريزتها الأنثوية

الكامنة :

- (يانيل) .. ما الذي ستفعله في (كراكس) بالضبط ؟

حاول أن يتسم ، وهو يجيب :

- قلت لك : إنها عملية تصفية بسيطة .

تأملته مرة أخرى ، قبل أن تمسح وجهه بأناملها ،
مقصفة :

.. أهي خاصة بالبنك الذي تعمل به ؟
أوما برأسه إيجاناً ، وهو يقول :

.. نعم .. آخر عملية لحساب القيك ، قبل أن يوافلوا
على اعتزالي .

كان يبذل طاقة هائلة ، ليندو حديثه بسيطاً مقنعاً ، إلا
أنه جاء ، على الرغم منه ، حصيياً متوتراً ، مما أورتها
مزيجاً من القلق ، وجعلها تشع في أعماقها بخوف
مبهم ..

خوف من خطر مجهول ، شعرت بأنه يهتد أمنها
وسلامتها ، متمثلين في الشخص الوحيد ، الذي منحته
حبها ، منذ فترة طويلة ..

وعلى الرغم من ثقتها بأنها حصلت على امتياز
خاص ، عندما اختارتها الجريدة للسفر إلى (كراكس) ؛
لتغطية المؤتمر الصحفي ، الذي سيعقده (ستاسي)
هناك ، إلا أن شيئاً ما في أصابعها كان يشعر أن هذه
الرحلة ستحمل الكثير مما لا يروق لها ..
الكثير جداً .

★ ★ ★

١٦

٢- اغتيال ..

(كراكس) - (فنزويلا) .. التاسع من يوليو ..
عقد (بيرو ستاسي) رباط عقده في شيء من
الحقل ، وهو يقول لمفتش الشرطة الفنزويلي (ياريدو)
في عصبية :

.. لست أدري لماذا تنصرفون بهذه العصبانية المفرطة
أيها المفتش ؟! .. أنا واثق من أن أحداً لن يجرؤ على
محاولة اغتيالي ، وسط مؤتمر صحفي عالمي .
أجابه المفتش في مزيج من الضجر والسخط :

.. لدولتي رأي مخالف يا ميستر (ستاسي) ، فنحن
نتصور أنك مستهدف وبشدة ، خاصة وأنك تنوي كشف
الكثير من الأسرار ، التي لن يروق للكثيرين عرضها
علانية ، على هذا النحو .

قال (ستاسي) في غضب :

.. من حق الشعوب أن تعرف الحقائق أيها المفتش ،
ما دام هذا يتعلق بمصالحها ، ونحن في (أمريكا) نؤمن
تماماً بحرية النقد والقول .

١٧

قال المفتش في غضب :

.. ليشئ أستطيع ، فهذا سيفعيتني على الأقل من
احتمال تفريقك لي طوال الوقت ، وكأنني أسعى لاغتيالك
لاحمائتك .. أنت لا تترك كم نتجشم من جهد ومال ،
نحافظ على حياتك .. هؤلاء البدائل ، الذين تسخر من
وجودهم ، هم أكبر ضمان لبقائك .. لقد درسنا الأمر كله
يا رجل .. درسناه من وجهة نظرنا كمحترفين ، وأصبحنا
نعرف أنك آمن منا ، وفي القاعة التي ستعقد فيها
المؤتمر الصحفي ، ولكن منطقة الخطر الأعظم تكمن في
عبورك من الساحة الرئيسية للفندق ، إلى قاعة
المؤتمر ، فهذا يحتم سيرك غير مرص طويل ، له جدران
زجاجية ضخمة ، تجعلك مكشوفاً تماماً ، لعدد من
البنائيات المولجة .. والشخص الذي قد يستأجرونه
لاغتيالك ، سيكون محترفاً حتماً ، والمجتراف يعلم أنه
لن تكون أمامه إلا فرصة واحدة ، إطلاق رصاصة
واحدة ، فإما أن ينجح في إصابتك بها مباشرة ، أو
يفشل ، فيفارقه التجاح إلى الأبد .. هذا لأن الرصاصة
ستكشف موقعه ، وتدفع فريق الأمن لاتخاذ إجراءات
حمايتك على الفور ، ووجود أربعة أشخاص لهم نفس
ملاحك وحيثك سيربكه حتماً ، فبعض عن إصابتك ..
هل فهمت ؟

١٩

ابتسم المفتش في شيء من السخرية ، وهو يقول :
.. حقاً ؟!

لنعتقد حاجبا (ستاسي) ، وهو يقول في حدة :

.. ماذا تعني أيها المفتش ؟! ما الذي تلمح إليه ؟!

أشار المفتش (ياريدو) بيده ، قائلاً :

.. لا شيء بالتأكيد .. أنا رجل أمن ، وليس من حق
التدخل في السياسة .. كل ما أسعى إليه هو ضمان أمنك
فحسب .

صاح (ستاسي) محققاً :

.. وما الذي يمكنك فعله أكثر من هذا ؟! .. إنك تضع

فريق حراسة كاملاً حول جناحي بالفندق ، وتجبرني على
ارتداء صديريّة مضادة للرصاص تحت ثيابي ، وتحضر
ثلاثة شبهيونتي تماماً ، للعمل كبدايل لي .. ما الذي
تريدته أيضاً ؟! .. هل ستعاقب مع (سوبرمان) نفسه
لحمايتي (*) ؟!

(*) سوبرمان : شخصية خيالية ، ابتكرها (جوشمستر)
و (جيري سيغال) . إيمان الأمة الاقتصادية الأمريكية في
الثلاثينات ، وهي لعل قادم من كوكب آخر ، يكتسب قوة خارقة
على الأرض . ويستخدمها لتحقيق العدل ومكافحة الجريمة ، ولقد
نجحت الشخصية نجاحاً مدهشاً ، وبعث منها شرقة (كاتزن
كوميكس) الملايين والملايين .

١٨

بهت الميناتور الأمريكي لهذا الوضع الغاضب ،
الذي يتحدث به المفتش ، واحتقن وجهه لحظات ، ثم لم
يلبث أن ارتدى سترته ، مضفًا :

- أنتم أكثر دراية بنظم الأمن .

ثم رفع رأسه ، مستطردًا :

- هيا بنا .. لست أحب أن ينتظر الصحفيون طويلاً .

قالها ، واتجه إلى الباب في كبرياء ، جعل المفتش
يهز رأسه ، ويغمغم في حلق ساخط :

- يا لرجال السياسة .

وفي حذر ، وتحت شبكة أمنية دقيقة ، عبر الموكب
الصغير المساحة الرئيسية للفندق ، و (ستاسي) يسير
وسط ثلاثة رجال ، يقاربونه ملابس ، ويرتدون حلة
مشابهة تمامًا لحلته ، وهولهم رجال الأمن ، واتجه
الجميع إلى تلك الممر ذي الجدران الزجاجية ، فخلق
قلب المفتش (بارلو) في توتر ، وفال صبر جهاز
اللاسلكي :

- درجة الاستعداد القصوى .. حاولوا صبور الممر
بأسرع ما يمكن .

تحرك الجميع بسرعة أكبر ، في محاولة لقطع دستة
الأمطر ، التي تفصلهم عن قاعة المؤتمرات ، و ...

ولجأة ، أصابت رصاصة ما الجدار الزجاجي ، في
نهاية الممر ، فصاح المفتش (بارلو) ، وسط الاضطراب
العنيف ، الذي أصاب الموكب :

- (ستاسي) .. احموا (ستاسي) .

لم تكد الصيحة تفارق شفثيه ، حتى أدرك الفخ الذي
وقع فيه ، ورجاله يندفعون بحركة غريزية نحو
(ستاسي) الحقيقي ..

لقد آتقن القاتل خدعته إلى حد مذهش ..

الرصاصات التي أطلقها بعيدًا ، عند نهاية الممر ،
جعلت رجال الأمن يكشفون له الهدف الحقيقي ، من بين
الأهداف الخداعية ..

وهنا يحين موعد الطلقة الثانية ..

ولقد انطلقت في موعدها بالضبط ..

بعد ثانية واحدة من الرصاصات الأولى ..

وبعد أن حدث القاتل المحترف هذه بدقة ..

وقبل أن يندفع (بارلو) نحو (ستاسي) الحقيقي ،
ويحاول دفعه بعيدًا ، أو حتى حمايته بجسده ، اختبرت
الرصاصات الثانية الجدار الزجاجي ، وعبرته لتستقر في
منتصف جبهة السياسي الأمريكي مباشرة ..
وصرخ المفتش في هلع غاضب :



لقد تصرف كمحرف حقيقي ، فالتي البندقية خلفه ، وخلق قفازه ،

وهو يعدو نحو مدخل السطح ..

- لا .. لا ..

أما (ستاسي) ، فقد جسقت عيناه ، وترنح جسده
لحظة ، قبل أن يهوى جثة هامدة ، وسط فريق أمني
أصابته الصدمة بجرح غائر في كفايته وعرامته ..

وثانية أو اثنتين ، تبعثت السنة الجميع ، ثم صرخ
المفتش (بارلو) :

- القاتل هناك .. فوق ذلك المبنى المرتفع .. الحقوا
به .

لم يكن (ياتيل) من الغباء ، بحيث لا يدرك أن
الغضب سينفع رجال الأمن إلى التحرك بأقصى سرعة ،
وأكثر قدر من العنف ، وأنه ليس أمامه سوى نقائق
معدودة للقرار من الممكن ، ومحو كل أثر يمكن أن يقود
إليه ..

ولم يضع لحظة واحدة ..

لقد تصرف كمحترف حقيقي ، فالتي البندقية خلفه ،
وخلق قفازه ، وهو يعدو نحو مدخل السطح ، ووثب
متجاوزًا درجات السلم ، التي قادت إلى الصعود ، الذي
وضع حاللاً مسبقاً ، بين ضلقتي يابه ، وقلز داخله ،
وضغط زر الطابق الثاني ، واستغل فترة الهبوط ليبدل
سترته ، فبرتها على الوجه الآخر ، الذي يحمل لونا

وتصميماً مختلفين ، ولم يكد يبلغ الطابق الثاني ، حتى اندفع عبر ممره إلى شقة استأجرها في اليوم السابق ، تطل على شارع جانبي ضيق ، وخرج من نافذتها ليتطرق بمأسورة صرف كبيرة ، ويتزلق عليها إلى الشارع ، الذي تجاوزته في خطوات أقرب إلى العدو ، وقفز داخل سيارة تنتظره عند نهايته ، قاتلقت به على الفور ، وسأله قائدها في اهتمام :

— هل فعلتها ؟

ابتسم (يائيل) ، وهو يلهث في تفعال ، وأشار بإبهامه ، مغفماً :

— كالمعتاد

عاد (شيمون دار) وسأله في حزم :

— أأنت وأنت من أنك قد أصيبته في مقتل ؟

استرخى (يائيل) في مقعده ، وأسبل جفنيه قليلاً ، وهو يشير إلى منتصف جبهته ، قائلاً :

— ما رأيك في هذا الموضع ؟

ضافت عينا (دار) ، وهو يجيب :

— رائع .

ثم التحرف بقفة في شارع جانبي ، وأوقف سيارته عند نهايته المسدودة بجدار ضخ ، فسأله (يائيل) ، وهو يحتل في حيرة :

— لماذا توقفت هنا ؟

أجابه (دار) في هدوء :

— أريد اختبار ذلك الموضع .

أطلت نظرة متسائلة من عيني (يائيل) ، فاستطرد (دار) في سرعة ، وهو يستل مسدسه ، ويصوبه إلى جبهته :

— عندما تستقر فيه رصاصة .

اتسعت عينا (يائيل) في ذهول ، وتعلقتا بسبابة (دار) ، وهي تضغط الزناد بلا تردد ..

ثم انفجرت في عروقه فورة المحترق ..

وتحرك بسرعة مذهلة ..

والخلقت الرصاصة ..

وشعر (يائيل) بالآلم حادة في جبهته ، وبسهم من النار يهتك بها ، واخترق دوى الرصاصة أنفيه على نحو عنيف ، فصرخ :

— أيها الحقير !

لم تكن الرصاصة قد اخترقت جبهته ، كما استهدف (دار) ، فقد أنقذته حركته السريعة من الموت ، ولكنها لم تمنع حدوث ذلك الجرح في جبهته ، والذي مسالت منه الدماء لتفمر وجهه ..

ممنسه تحت قدميه ، فكال له (يائيل) لكمة قوية ، صارخاً :

— أنت تستحق هذا .. كلكم تستحقون هذا .

ارتطم (دار) بباب السيارة في قوة ، وصرخ بكل الألم والغضب في أعماقه ، وهو يضع يسهه على عيته المصابة ، ويحاول استعادة ممنسه :

— ستموت يا (يائيل) .. ستموت جراء ما فعلته .

الحنى (يائيل) بسرعة ، يفتح باب السيارة ، ثم ركل (دار) بكل قوته ، وألقاه خارجها ، وهو يهتف :

— ليس بهذه السهولة .

سقط (دار) خارج السيارة ، وهو يقبض على ممنسه ، فقفز (يائيل) إلى مقعد القيادة ، وانطلق بالسيارة ، و (دار) يصرخ :

— لن تغت .. لن تغت أبداً .

اقتربت صرخته بدوى رصاصاته ، التي اخترقت زجاج السيارة الخلفي ، واستقرت إحداها في كتف (يائيل) ، الذي تلوه في ألم ، وزاد من سرعة السيارة ، وهو يمسح للدماء عن عينه ، ويهتف في ألم :

— يا للأوغاد .. يا للأوغاد !

اعترف في الطريق الرئيسي ، وتجاهل أبواب السيارات المعترضة والمستكرة ، وهو يدور إلى الطريق المقابل ،

إلا أنه تحرك بسرعة مذهلة ..

تحرك كمحترف ..

وبكل قوته ، هوى بيسراه على لك (دار) ، وهو يحاول انتزاع الممنس من يده ..

ولكن (دار) كان أيضاً محترفاً ..

وكانت المعركة عنيفة داخل السيارة ..

وبدا من الواضح أن (شيمون دار) أكثر تفوقاً فيها ، نظراً لطبيعة دوره في (الممسد) ، التي تحتم حدوث

مواجهات مباشرة ، على عكس (يائيل) ، الذي اعتاد

دوماً العمل من بعيد ..

وعندما انطلقت الرصاصة الثانية ، شعر (يائيل)

بالآلم مبرحة في فخذه ، وأدرك أن (دار) سيتنصر لا محالة ، فدفع قذاة السيارة ، وهو يهتف :

— لماذا ؟ لماذا تفعل هذا ؟

صاح به (دار) في غلظة :

— أنت غبي .. الموت هو الوسيلة الوحيدة للتقاعد في

عالمنا ، بالنسبة لمن يحملون هذا القدر من الإصرار .

صرخ (يائيل) :

— أيها الأوغاد .. أيها الأوغاد .

ثم التزع للقداحة المشتعلة ، ودفعها في عيني (دار) ،

الذي أطلق صرخة ألم هائلة ، وتراجع في عتب ، وسقط

فى نفس اللحظة التى اتلف فيها بعض رجال الشرطة ،
محاولين الوصول إلى المبنى ، الذى يبعد عنه مائتى
متر تقريباً ، فتجاوزهم فى مهارة ، واتدفع نحو الفندق ،
الذى تحتشد الصحافيون أمامه ، ودارت عيناه بينهم بسرعة
البرق ، قبل أن تستقرا على وجه (نينا) ، فهتف :

- (نينا) .. (نينا) .

التفتت (نينا) إلى مصدر الصوت فى دهشة ، ثم شهقت
فى هلع ، عندما رأت (ياكيل) داخل السيارة ، والنساء
تفرق كتفه وجبهته ، فأسرعت إليه هاتفة :

- ماذا حدث ؟ .. ماذا أصابك ؟

صاح بها فى توتر بالغ :

- اركبى بسرعة .. لا وقت للتفكير .

كان لديها ألف سؤال ، ترغب فى طرحها عليه ، إلا
أن هيئته ، والطريقة التى تحدث بها ، جعلها تقفز إلى
المسيرة بسرعة ، فانطلق هو بها ، وسألها فى عصبية :
- لقد زرت (فنزويلا) من قبل .. هل تعرفين مكاناً
مناسباً ، يمكننا أن نخفى فيه بعض الوقت .

هتفت فى دهشة هلعة :

- نخفى فيه ؟! .. ماذا تعنى ؟! .. ماذا حدث بالضبط ؟

٢٨

صاح بها فى حدة :

- أجبى عن سؤالى .

ازدريت لعابها فى صعوبة ، وقالت :

- نعم .. أحرف مكاناً متحرلاً ، لو أن هذا ما تفقده ،
ولكن أخبرنى أولاً .. ما الذى فعل بك هذا ؟

واتحتت تلقى نظرة على جرح كتفه ، قبل أن تصرخ :

- (يقيل) .. إك مصاب برصاصة !!

أجابها متوتراً :

- بل رصاصتين ، والثالثة جرحت جبهتى .

شهقت هاتفة :

- ثلاث رصاصات ..؟ (يقيل) .. أخبرنى بقله حبيب ..

ماذا حدث ؟

ثم اتفقد حاجبها بشدة ، وهى تستعرد :

- قل لى : أهذا علاقة بمقتل السيناتور (ستاسى) ؟

صمت لحظة ، ثم أجاب فى حزم والكتصاب :

- نعم .

توترت أعصابها بشدة ، وهى تسأله :

وما علاقتك بهذا الأمر بالضبط ؟!

صمت لحظة أخرى ، ثم أجاب فى صمم :

- أنا فكتله .

٢٩

شهقت (نينا) فى قوة ، وتراجعت كالمصعوفة ، وهى
تخفى فيها يقبضتها ، قبل أن تهتف فى صوت شاحب
مبحوح ، يسبح فى بحر من الانفعالات :

- أنت ؟! .. أنت يا (ياكيل) ؟! .. ولماذا تفعل هذا ؟!

أجابها فى توتر بالغ :

- إنها مهنى .

هو قلبها بين ضلوعها ، وهى ترد فى ارتياح :

- مهنتك ؟!

اتفقد حاجبها فى شدة ، وحاول التقلب على ألامه

المبرحة ، وهو يقول :

- اسمعنى جيداً ، وكفى إضاعة للوقت .. لقد أخفيت

عنه الأمر ، لأننى لم أجد فيه ما يستحق اللخر ، ولأننى

كنت أتوى مخلصاً أن أعتزل المهنة ، وأن أتزوجك ،

لتحيا معاً فى مزرعتنا فى (البربريل) ، ولكن الأوغاد

خدعونى ، وحاولوا التخلص منى فى العملية الأخيرة .

سألته فى حذر مدعور :

- أى أوغاد ؟

أجابها فى مقت :

- (الموساد) .

٣٠

شهقت فى رعب ، وهى تتراجع لى عنف ، وقد
انخرس لسالتها تماماً ، فى حين تابع هو فى توتر
شديد :

- إننى أصعل لحسابهم منذ زمن طويل .. قاتلت

محترف ، ضمن فرقة الاختيالات ، ولكننى لم أتصور أبداً

أنهم بهذه الخسة .

ارتجفت من قمة رأسها ، وحتى أخمص قدميها ، وهى

تقول :

- لا بد أن نهرب .. لابد أن نفلت من بين أصابعهم ،

وإلا مرقوتنا إرياً .

هز رأسه نفياً ، وهو يجيب :

- الفرار منهم مستحيل ؟! .. أنا أحرف كيف يتعاملون ،

مع مثل هذه المواقف .. سيراليون الحدود ، ومداخل

ومخارج المدينة ، وطرق المواصلات بأنواعها ، ومينئشر

جواسيسهم فى كل شارع .. لن تكون هناك وسيلة

للهرب ، خاصة مع إصابائى ، والتألام خبرتى تقريباً فى

هذا المجال .

سألته فى ارتياح أقرب إلى التهيار :

- ماذا تفعل إذن ؟! .. ماذا تفعل ؟

أجابها فى حزم :

٣١

- نستقل الوقت بسرعة ، ولا نضيع منه لحظة واحدة ،
ثم نتجه إلى آخر مكان يمكن أن يخطر ببالهم .
سألته في لهفة متوترة :
- وما هو ؟

التقط نفساً صعباً ، في محاولة للسيطرة على آلامه
والعلااته ، قبل أن يجيب :
- السفارة .. السفارة المصرية .
وكانت مفاجأة للصفحة الشابة ..
مفاجأة مذهلة .

★ ★ ★



٣٢

٣- الصفقة ..

(القاهرة) .. العاشر من يوليو ..

جذب (قدرى) المنظر المكبر الضخم ، ليدور به
حول قاعدته المعدنية ، وانحنى فوقه ، يتطلع في اهتمام
إلى بطاقة من البلاستيك المضغوط ، تحمل كلمات عبرية ،
إلى جوار صورة ضوئية لشخص ملتج ، ثم هز رأسه
بعدم رضا ، وقال محنناً شاباً تحيلاً ، يلف إلى جواره ،
داخل معمله الخاص ، في مبنى المقابر العامة المصرية :
- إنه يبدو متقنياً من بعيد ، ولكنه لن يصمد أمام
الفحص الدقيق .. انظر إلى الحروف في الركن الأيمن
السفلى .. إنها باهتة ، عند تكبيرها عشر مرات فحسب ،
فماذا لو تم فحصها بالكمبيوتر ؟

سأله الشاب في اهتمام :

- وما الحل في رأيك ؟

لوح (قدرى) بيده في هزم : وهو يجيب :

- أن تستخدم الوسيلة نفسها .. إهم يفحصونها باستخدام
الكمبيوتر ، بعد تكبيرها إلى مائة ضعف من حجمها
الأصلى ..

٣٣

٣٥١ - جيل المسيا (١٩٨٣) ، الجزء ٢

تتهاد (أدهم) ، وهو يجيب :

- وصلت منذ ساعة واحدة يا صديقي .. أما (منى) ،
فما زالت غارقة في غيوبتها العميقة ، والله (سباحته
وتعالى) وهذه يعلم : متى تستيقظ منها .
هم (قدرى) بإلقاء سؤال آخر ، ولكن الشاب اندفع
قائلاً في حدة ، وبهيرة متحملة :

- ربما كان من رأيك أنني لا أصلح لمثل هذا العمل ،
ولكنني مررت باختبارات عدة ، أخطت في النهاية
صلاحياتي للعمل ، و ...

قاطعه (أدهم) في صرامة :

- اصمت .

كان الشاب يمثل تحدياً بالقليل ، إلا أن صوت (أدهم)
جعله ينتفض في عنف ، ودفع شجاعته إلى الفرار من
قلبه إلى قدميه ، والدماء تكاد تتجمد في عروقه ،
ويطلنا يستطرد صارماً :

- لو أنك تمتلك ذرة واحدة من العقل والحكمة ،
لأسعدك أن تتلمذ على يد أعظم خبير تزييف وتزوير
عرفته ، في الدنيا كلها ، ولبنك قصارى جهدك : لتنهل
منه قدر استطاعتك .

حاول الشاب أن يستعيد سيطرته على نفسه ، وهو
يقول :

٣٥

استخدم أنت أيضاً الكمبيوتر في صنعها ، ولم تكبيرها
مائتي مرة إن استطعت .. المهم أن يكون عملك شحيد
الإتقان ، حتى لا يمكن كشف أمره إلا باستخدام تقنية
متقدمة للغاية .

ابتسم الشاب ، وهو يقول في لكمة تشوبها ليرة
ساخرة :

- وما هذه التقنية المتقدمة في رأيك ؟ .. منظر مكبر
كهذا ؟

عقد (قدرى) حاجبيه في غضب ، وهو يقول :

- في أيامي ، كنت أصنع المعجزات ، بهذا المنظر
البسيط .

قال الشاب بنبراته المستفزة :

- لست أعتقد أن معجزاتك تلك تصلح لأيامنا هذه .

احتقن وجه (قدرى) ، وهم يقول شيء ما ، لسوا أن
ارتفع صوت صراخ ، يقول :

- بل أنت الذي لا يصلح لعملنا يا هذا .

التفت (قدرى) والشاب معاً إلى مصدر الصوت ، وهتف
الأول في سعادة واضحة :

- (أدهم) ! .. حمداً لله على سلامتكم يا رجل .

قالها ، وتلفع يصالح (أدهم) في حرارة ، مستطرداً :

- متى وصلت من (أمريكا) ؟ .. كيف حال (منى) هناك ؟

٣٤

- ولكن هذه الأساليب لم تعد تناسب تكنولوجيا العصر .

مال (أدهم) نحوه ، وهو يقول في صرامة :

- هذا هو الخطأ ، الذي يقع فيه الجميع .. التكنولوجيا تتبدل وتتطور وتتغير دائماً ، ولكن الشيء الذي يبقى ويتفوق هو الخبرة والموهبة .. نفس الخبرة ، التي جعلت (قدري) يدرك أهمية وخطورة الكمبيوتر ، في هذا العصر ، ويصحب باستخدامه ، كما يستخدمه الخصم .. ما الذي يشغله هذا في رأيك .. العبقرية أم الحماسة ؟
بقي الشاب متطوعاً إلى عيني (أدهم) لحظة ، ثم لم يلبث أن عجز عن الاستمرار ، فخفض عينيه ، مغضباً :
- عن العبقرية بالتأكيد .

ثم التفت إلى (قدري) ، مستطرداً في ارتباك :

- معذرة يا أستاذ (قدري) .. هل تسمح لي بالانصراف ؟ .. أقصد ساعة واحدة ، ثم أعود لاستكمال الدرس .

أشار إليه (قدري) بسبابته ، مجيباً :

- بالطبع .. خذ ما يكفيك من الوقت ، وسأنتظر .

انصرف الشاب بسرعة ، وانخبل يملأ نفسه ، ولم يكد يفلح الباب خلفه ، حتى اتلفع (قدري) يصفاح (أدهم) ثانية ، في حرارة أكثر ، ويربّت على كتفه قائلاً :

٣٦

- أشكرك .. أشكرك يا صديقي .. أنت لا تتقلى عني أبداً .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

- لم الأصدقاء إذن يا رجل .

ثم جلس سائلاً :

- كيف حال يدك يا صديقي ؟

تطلع (قدري) إلى كفه في حزن ، وهو يجيب :

- أستطيع استخدامها ، ولكنها لم تعد إلى سابق عهدها قط ، منذ حطمتها ذلك الوباء في (لوس أنجلوس) (*) . ولهذا أكتفى بتدريب المستجدين ، في قسم التزييف والتزوير .

أجاب (أدهم) بابتسامة هائلة :

- إنها مسألة وقت يا صديقي .. سيعود كل شيء إلى عهده مع الوقت .

أوما (قدري) برأسه موافقاً ، وغغم :

- نعم .. إنها مسألة وقت .

ثم أضاف في اهتمام :

- وهذا ينطبق على حالة (متي) أيضاً .

(*) راجع قصة (قضية ناقصة) .. لمطبعة رقم (١٠٠) .

٣٧

صمت (أدهم) لحظات ، أطلّ الحزن خلالها من عينيه واضحاً ، قبل أن يغمغم :

- أرجو هذا .

تطلع إليه (قدري) مشفقاً ، وسأله :

- هل تفكر بما (أدهم) ؟

ابتسم (أدهم) في حزن ، وهو يجيب :

- والله من سؤال !

ثم نهض من مقعده ، واتجه إلى النافذة ، وتطلع عبرها لحظة في شroud ، قبل أن يتابع بصوت حزين :

- إنني أشعر بدورها وكأنني جثة بلا روح يا صديقي .

ترقرقت دموع في عيني (قدري) ، وهو يتمتم في

خفوت شديد :

- أتحبها إلى هذا الحد ؟

كان يقتر في إضافة عبارة أخرى ، عندما ارتفع

صوت دقات على باب المصل ، فقال (قدري) بحركة

غريزية :

- اسفل يا من تطرق الباب .

نلف إلى الحجرة أعد الجنود ، وأذى التحية العسكرية

في احترام ، قبل أن يقول :

- المدير يطلبك في مكتبه فوراً ، يا سيادة العقيد .

٣٨

التفت إليه (أدهم) ، ملقياً كل الفعاليات خلف ظهره ، وهو يقول :

- سآذهب إليه على الفور .

قالها في حزم واضح ، وقوة تشير الإعجاب ، وكأنما تلمس قلبه بكل مشاعره بقتة ، وارتدى ثوبه الخاص جداً ..

ثوب الرجل ..

رجل المستحيل ..

أشار مدير المخابرات إلى (أدهم) بالجلوس ، وهو

يلفح إليه صورة ضوئية ، قائلاً :

- قل لي يا (ن - ١) : هل تعرف هذا الرجل ؟

ألقي (أدهم) نظرة سريعة على الصورة ، قبل أن

يقول في هدوء :

- اسمه (يكليل برونسكي) .. قاتل محترف ، يصل

ضمن فريق الاغتيالات الخاص بـ (الموساد) ، من

(الصابرا) (*) ، أصوله بولندية ، في الثامنة والثلاثين

(*) قصيرا : لجل الجديد من الشين ولرجال والتساء ، فنون

ولندا في (إسرائيل) . بدأ إعلان قيامها كسولة . عام ١٩٤٨ م ، ووصول لمهاجرين إليها .

٣٩

من صوره ، يحمل الرمز الكودي (ياز - ٧٠٩) ، قام بتنفيذ عملية اختطاف البلجيكي (آلان جواليه) ، والألماني (هانز فريديك) ، وغيرهم من السياسيين ، الذين يعارضون فكرة قيام (إسرائيل) ؛ تنفيذاً لخطة مستمرة ، تستهدف كل المعادين للنظام الاستعمارية ، ويعتقد أنه وراء عملية اختطاف السياسي الفرنسي (موريس شيفال) في العام الماضي .

أوما المدير برأسه مزيذا ، وابتمس وهو يقول :
- تعجبني ذاكرتك الموسوعية هذه يا (أدم) ، ولكن أضف إلي معلوماتك أن (يوتن برورنسكي) هو المسئول أيضاً عن اختطاف السياسي الأمريكي (جرو ستامس) أمن .

سأله (أدم) في اهتمام :
- هل توصل رجال مكتبنا في (أنزويلا) إلى هذا يا (سيدي) ؟

هز المدير رأسه نفياً ، وهو يجيب :
- بل أتر به (يائيل) نفسه .
تعتقد حاجبا (أدم) ، وهو يسأل في حذر :
- ما الذي يكمن خلف هذا يا سيدي ؟
أجابه المدير ، وهو يتراجع في مقعده ، ويشبك أصابع كفيه أمام وجهه :

٤٠

- بعد تنفيذ عملية اختطاف (ستامس) ، حاول (المومند) التخلص من (يائيل) ؛ لإصراره على للتصاعد بعد العملية ، ولكنه نجح في الفرار منهم ، على الرغم من مصابته برصاصاتهم ، ولجا إلى سفارتنا في (ترابن) ، وهناك تقدم بطلب رسمي بحق اللجوء السياسي .
خفف (أدم) في دهشة :

- حق اللجوء السياسي إلى (مصر) ؟ .. إنها سابقة تعد الأولى من نوعها يا سيدي . أن يسعى رجل مخابرات إسرائيلي لطلب حق اللجوء السياسي لـ (مصر) .. وافقه المدير بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

- هذا صحيح يا (ن - ١) .. إنها السابقة الأولى من نوعها ، ولكن (يائيل) كأى رجل مخابرات محترف ، يعمل الكثير والكثير من الأسرار ، التي تستحق بهذا الجهد للحصول عليها ، فلقد لجأ (يائيل) إلى سفارتنا هناك ، مع خطيبته السفيرة الإسرائيلية (نوتا شيريدان) ، وطلب عند صفة خاصة ، لاستقبله ملحقنا العسكري ، واستدعى طبيباً لمداداة جراحه ، وإخراج الرصاصات من جسده ، ثم سأله عما يريد ، فأعلن (يائيل) استعداده لمحننا كل ما لديه من أسرار ، مقابل منحه حق اللجوء السياسي لـ (مصر) .

٤١

منها ، على الرغم من اللواتي التي تحمي الحقيقة الديبلوماسية في العالم كله (*) .

.. وأنت تعرف كيف يتجاهل الإسرائيليون كل العهود والمواثيق الدولية ، لو أنها تتعرض مع مصالحهم الخاصة ، ثم إن حيلهم والألاعيب لا تنتهي .

ثم تراجع مرة أخرى في مقعده ، قبل أن يضيف :
- ثم إن الأمر لا يخص الإسرائيليين وحدهم .

أطلقت نظرة تساؤل من عيني (أدم) ، لتابع المدير مفسراً :

(يائيل) يؤكد أن ما لديه من أسرار يمن المخابرات المركزية الأمريكية أيضاً ، والحكومة الأمريكية بالتالي ، وهذا يعني أنهم سيضعون ثقلهم كله في اللعبة ، مما يجعلها أكثر خطراً وخطورة

ابتسم (أدم) ، وهو يقول :

- نحن لها يا سيدي .

ثم نهض مستطرداً ، في لهجة أقرب إلى الجذل :

(*) الحقيقة الديبلوماسية : اسم يطلق على أية رسالة أو خطاب ، أو طرود ، مهما كان حجمها ، يتم إرسالها من أية سفارة إلى دولتها أو لعكس ، وكل المواقف الدولية تمنع فتح أو فكش الخطاب الديبلوماسية ، إلا بطلب رسمي ، وبحضور مندوب من السفارة .

٤٣

قال (أدم) في اهتمام :
- لو أنها ليست خدعة ، فالصفقة عادلة في رأيي .

قال المدير :

- هذا صحيح ، ولقد وافقت القيادة السياسية على عقد الصفقة ، لما فيها من فائدة لنا ، ولكن الأمر لا يمكن أن يتم بهذه البساطة ، لقد خرج الطبيب من السفارة ، ليبلغ الإسرائيليين بالأمر ، ولقد جن جنونهم بالطبع ، وأحاطوا السفارة بجواسيسهم ، وسيبنون قصارى جهدهم حتماً ، للتخلص من (يائيل) ، قبل أن يصل إلى هنا .

صمت (أدم) لحظات ، قبل أن يقول :

- إذن فالمشكلة تكمن في كيفية إخراج (يائيل) من السفارة ، وإحضاره سالماً إلي هنا .

أشار المدير بسبابته ، قاعلاً :

- وهي ليست بالمهمة السهلة أو الهينة يا (ن - ١) ،

فسيجرب أن الإسرائيليين أن يبلغ بهم الجنون حد مهاجمة السفارة لانتزاعه بالقوة ، إلا أنهم لن يقرعوا عن القلزم بأى عمل كان ، للتخلص منه ، حتى ولو هاجموا كل سيارة تقدر السفارة ، أو نسفوا أى صندوق ديبلوماسي يخرج

٤٢

- إننى أميل بطبعى إلى هذا النوع من التحذيرات ،
فالتحذيرات المعقدة تستحث حماسى ، وتستثير رغبتى فى
الصراع .

وانسحبت ابتسامته ، وهو يستطرد :

- دعنا نقتحم اللعبة إذن يا سيدى ، فثبت لهم أننا الأكثر
براعة ، حتى الرغم من كل ما يعطون به أنفسهم من
دعيلت مفروسة ، وأساطير خيالية منسوجة ، ولكننا
سننتزع رجلهم من تحت أقدامهم ، ونقتضى نكاههم
وخبراتهم صلاية .. دعنا نريهم من يجيد اللعبة أكثر .

صمت المدير تمامًا ، وهو يستمع إليه ، ثم قال :

- سنقبل بإذن الله يا (ن - ١) ، ومنرسلك إلى
(كراكس) بعد ساعة واحدة ، ولكن هناك أمر بالغ
الأهمية ، لابد أن تدركه قبل أن تبدأ العملية .

واكتفى صوته برقة صارمة ، مع استطراده :

- هذه العملية بانفة الخطورة يا (ن - ١) ، لذا فلن
نسمح بالخروج عن الخطوة الموضوعية قط .. هل تدرك
هذا ؟

أوماً (أدهم) برأسه إيجابا ، وهو يقول :

- بالطبع يا سيدى ، ولكننى أرغب فى إضافة صبرة
بالغة الأهمية ، فلن نسمح بالخروج عن الخطوة
الموضوعية قط ، ما لم تقتض الأمور هذا أو تحتمه .

٤٤

ابتسم المدير ، وهو يقول :

- هذا أمر طبيعى يا (ن - ١) ، فنعلمنا تشاؤم الأمور ،
يتحتم الانتقال إلى الخطط التلقائية والعشوائية .. وهذا
ما تثبت فيه جدارك دوماً ، والذى تم اختيارك للقيام
بالعملية من أجله .

تنهد (أدهم) ، وقال :

- فى هذه الحالة ، أعتقد أننى لا أطيق صبراً على
بدء اللعبة يا سيدى .

وارتسمت ابتسامته جذلة على شفتيه ، وهو يضيق :

- لعبة المحترفين .

وكانت هذه إشارة البدء .

★ ★ ★

٤٥

قال الملحق العسكرى فى صرامة :

- إنهم يعرفون ما يفعلونه .

اندفعت (نينا) تقول فى عصبية :

- ولكننى أتفق مع (يانيل) .. من المستحيل أن ينجح

رجل واحد فى خداع كل هؤلاء الرجال ، الذين اجتمعوا
على حتمية التخلص منا .. العقل لا يمكنه قبول هذا .

قال الملحق العسكرى ، وهو يشيح بوجهه :

- لا تعليق .

هتف (يانيل) :

- اسمع يا هذا .. إما أن أشعر بأننى آمن تمامًا ،
وأفكم تستطيعون حمايتى ، ويمكنكم معاونتى على السفر
إلى بلادكم آمناً سالمًا ، أو ألقى الصلقة كلها .

ارتفع صوت ساخر ، يقول :

- يا للصاراة .. لم يعد بإمكانك التراجع يا فتى .

انفتت الجميع إلى مصدر الصوت فى توتر ، وانسحبت
عيننا (يانيل) ، وهو يهتف فى ذهول :

- أنت ؟

تقدم (أدهم صبرى) إلى داخل الحجرة فى هدوء ،
وهو يقول :

- أنت تعرفنى إذن .. عظيم .. هذا يجعل الأمور أكثر
سهولة

٤٧

٤ - الخطوة ..

(كراكس) .. الحادى عشر من يوليو ..

التاسعة مساءً ..

فرحت (نينا) كفيها فى توتر بالغ ، وهى تقول

للملحق العسكرى المصرى ، داخل مبنى السفارة :

- ما زالوا يحاصرون المبنى .. لا يبدو لى أنه هناك
أبنى أمل فى التجارة .. لن يسمحوا لنا بالخروج من هنا
قط .. على قيد الحياة .

أجابها الملحق العسكرى فى هدوء :

- اهبطى يا سيدنى .. كلنا تعلم أن الأمر ليس سهلاً ،
ولكنهم أبلغونى من (القاهرة) أنهم أرسلوا محترفاً
لمعالجة الأمر .

هتف (يانيل) مستكراً :

- محترفاً ؟ .. هل تعنى أنهم أرسلوا رجلاً واحداً ،
لمواجهة ذلك الجيش فى الخارج ؟ .. هل أصابهم الجنون
يا رجل ؟ .. ألا يعلمون أن رجال (الموساد) يتلقون
تدريبات مكثفة ، تجعل فواحد منهم بمثابة فرقة كاملة ؟ ..
كن المفترض أن يرسلوا جيشاً جراراً .

٤٦

هتف (باتيل) فى حدة :

- بل أكثر تمقيذا .

سأنته (نيثا) فى توتر بالغ :

- هل تعرف هذا الرجل يا (باتيل) ؟ .. هل التقيت به من قبل ؟

نهض الملحق العسكري يستقبل (أدهم) فى حرارة ، فى حين أجاب (باتيل) فى عصبية :

- صحيح أننى لم ألتق به فى حياتى قط ، ولكن كل من يعمل فى (الموساد) يحفظ صورته عن ظهر قلب ، ويحتم أن ظهوره فى الساحة يعنى صراخا رهيبا ، ولعسائر لاحصر لها .

قال (أدهم) سافرا :

- إنك تتلذذ فى نفسى الفرور يا رجل .

أما (نيثا) ، فقالت فى دهشة :

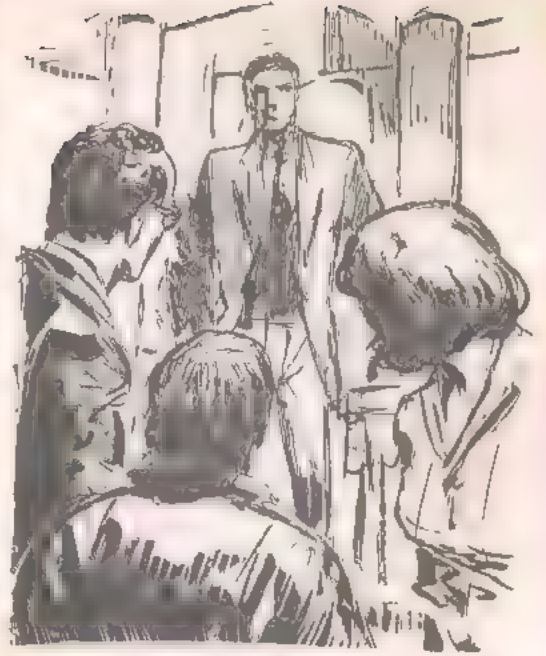
- كنت أتصور أن هذه الأمور تخضع للصيغة الباهظة .

هتف (باتيل) ، وهو يلوح بسبابته :

- هذا الموقف أمامك هو الاستثناء الضرورى ، لتأكيد كل قاعدة .. إنه رجل المخابرات الوحيد ، الذى يعمل بوجه حار وأوراق متشوشة ، وعلى الرغم من هذا ، فهو يتنصر فى النهاية ، ويكيدنا غسائر فادحة .

تطلعت (نيثا) إلى (أدهم) فى البهار ، مغمضة :

٤٩



تقدم (أدهم صبرى) إلى داحن الحجر فى هدوء ، وهو يقول :

- أنت تعرفى داحن .. عظيم

- حقاً ؟

أما (باتيل) ، فقال فى عصبية :

- قل لى ياسيد (أدهم) : كيف وصلت إلى هنا ؟

هزّ (أدهم) كتفيه ، وهو يجيب فى بساطة :

- استأجرت واحدة من سيارات الأجرة .

هتف (باتيل) :

- ألم تبدل هويتك أو ملامحك ؟

عاد (أدهم) بهزّ كتفيه ، قائلاً :

- لم أكن بحاجة إلى هذا .

حدث (باتيل) فى وجهه ذهول ، قبل أن يقول :

- أتعنى أنك ولقت السيارة أمام السفارة ، وغادرتها

تحت مصابيح الشارع الساطعة ، ودخلت إلى هنا بكل

سهولة ، دون أن تحاول حتى إقفاء شخصيتك ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يومئ برأسه ، قائلاً :

- بالضبط .

كاد (باتيل) يتفجر فى سخط غاضب ، إلا أن شيئاً ما

فى إلتسامة (أدهم) ، جعله يبتلع غضبه وسخطه ،

ويحلق فى وجهه فى حيرة ولقى ..

فقد كانت إلتسامة (أدهم) توحي بالمفوض ..

بالتخبر من المفوض

★ ★ ★

٥٠

وقف (شيمون دار) سيارته ، عند الإنفيلز المقابل

للسفارة المصرية ، وتحسّن تلك العصابة الموداء ،

التي تخفى عينه اليسرى ، قبل أن يتجه إليه أحد

رجالها ، الذين زرّعهم حول السفارة ، وهو يقول :

- أبون (دار) .. إننا ننتظرك بفارغ الصبر .

سأنته (دار) فى اهتمام :

- هل من جديد ؟

أشار الرجل إلى السفارة ، قائلاً :

- هل تعلم من وصل إلى هنا ، منذ ساعة تقريباً ؟

أظن التساؤل من عيني (دار) ، دون أن يقصص عنه

لسأنته ، فقال الرجل نحوه ، وأضاف فى توتر واضح :

- (أدهم) .. (أدهم صبرى) .

خبل للرجل أن جسد (دار) قد اتكفّض فى عنف ،

وأن عينه السليمة قد جعلت لحظة ، قبل أن يكرّر فى

ارتجاع ، بدا واضحا فى صوته ولهجته :

- (أدهم صبرى) ؟

ثم تحول لتفعله كله بقعة واحدة إلى سخط غاضب ،

وهو يستنرد :

- إنى فقد أرسلوه .. اختاروه للقيام بالعمل .

سأنته الرجل فى قلق :

- هل أرسل فى طلب إمدادات ؟

٥١

قال (دار) في حدة :

- إمدادات ١٢.. إننا أكثر من مستعدة من المحترفين
يا رجل .. لأن بكلي حذنا لمنع رجل واحد من مغادرة
السيارة مع رجلنا ١٢

أجابته الرجل في قلق :

- ولكنه (أدهم صبرى) .

هتف (دار) محتدًا :

- حتى ولو كان الشيطان نفسه .. لن نسمح له بالفرار
مننا قط .

وصمت لحظات مفكرًا ، وهو ينظر بأصابه على
هجلة القيادة في عصبية ، قبل أن يقول :

- تأهبوا جيف ، واستعدوا لأي تصرف غير متوقع ،
و ...

قبل أن يتم عبارته ، نوى انفجار مكتوم ، على
مقربة من المكان ، وانقطع التيار الكهربى فى المنطقة
كلها بقعة ، فهتف (دار) :

- يا للشيطان !.. لقد فعلها (أدهم صبرى) .

ثم صاح فى رجله :

- لا تسمحوا له بالفرار .. لقد نسف محوّل الطاقة
الكهربية للمنطقة ، حتى يمكنه استغلال القلام لتهديب
(بالول) .

لم يكذ وينتهى من قوله ، حتى اندفع رجلان من
السيارة ، نحو سيارة متوقفة فى ساحتها ، وسمع الجميع
صوت (بالول) فى وضوح ، وهو يهتف بالعربية :

- أسرع يا رجل .. أسرع بالله طوبى .

قفز الإثنان داخل السيارة ، التى انطلقت بأقصى
سرعة ، وأطلقت إشاراتها صريرًا عتيقًا ، وهى تعبر
بوابتها ، وتحرف فى الطريق الرئيسى ، فصاح (دار) ،
وهو يثير محركه سيارته :

- امنعوهما .. لا تسمحوا لهما بالفرار .

انطلقت عشرات الرصاصات خلف السيارة ، وأصاب
بعضها جسمها ، و (أدهم) ينطلق بها بأقصى سرعته
وهو يتسم فى سقرية ، مضغًا :

- هيا أيها الأوغاد .. لقد بدأت اللعبة ، وعليك إثبات
تفوقكم فيها .

اندفعت ثلاث سيارات خلفه فى الشارع الرئيسى ،
المجاور للسيارة ، وتحرفت إحداها فى شارع فرعى ،
فى محاولة لقطع الطريق على سيارة (أدهم) . عند
المفرج الرئيسى للشارع ، فى حين وصلت الآخرين
طريقهما خلفه . فى محاولة للحاق به ، وسط زحام
للطريق ..

- أريد إمدادات .. كثيرًا من الإمدادات .. إننا نحاصر
(أدهم صبرى) و (بالول) فى شارع (بوينس) .. أسرعوا
بحق الشيطان .

قالها ، وانتزع مسدسه فى توتر بالغ ، وهو يدرك أن
الإيقاع برجل مثل (أدهم صبرى) لن يكون سهلًا ..
لن يكون كذلك أبدًا ..

وفجأة ، هتف أحد رجاله ..

- سيّد .. انظر هناك .

التفت (دار) فى سرعة ، إلى حيث يشير الرجل ،
ورأت حينه الواحدة (أدهم) ، وهو يثب من أحد الأسطح
إلى آخر ، فصاح :

- فليلق به ثلاثة منكم ، ولكن إياكم وفك الحصار
بالتكامل .. إنه يحاول إبعادنا عن (بالول) .

أما (أدهم) ، فقد ابتسم فى سقرية ، وهو يثب إلى
سطح ثالث ، مضغًا :

- هيا .. أثبتوا تفوقكم أيها الأوغاد .

كان بإمكانه أن يقفز إلى سطح رابع ، بمنحه فرصة
الابتعاد عنهم أكثر . إلا أنه ، ولسبب ما توقف فوق
ذلك السطح الثالث ، وألقى نظرة على ساعته ، قللا :

- عظيم .. كل شيء يسير وفقًا للخطة .. سبع دقائق
أخرى ، وتنتهى هذه الجولة على ما يرام .

ولكن فجأة ، انحرف (أدهم) بالسيارة فى شارع
فرعى ضيق ، انطلق فيه بأقصى سرعته ، فلاحقت به
السيارتان ، واستخدم (دار) جهاز اللاسلكى فى سيارته ،
ليقول للباقيين :

- إنه يتجه إلى شارع (بوليفار) ، حاولوا قطع
الطريق ، عند المدخل الفرعى لشارع (بوينس) ، و ...
بتر عبارته فجأة ، ليهتف :

- توقفوا .. إنه هنا .

كانت السيارة ، التى استخدمها (أدهم) للفرار ، متوقفة
وسط شارع (بوينس) الفرعى ، وبابها الأماميان
مفتوحان ، وقد خلت من ركبتيها تمامًا ..

وبصبر عتيق ، توقف (دار) بسيارته ، خلف سيارة
(أدهم) ، وتوقفت خلفه السيارة الأخرى ، ووثب الجميع
من السيارتين ، فأنشأ (دار) إلى نهاية الشارع ،
هاتفا :

- أغلقوا الشارع من الناحيتين .. لا تسمحوا بدخول
أو خروج أى شخص منه ، حتى نفتش كل منزل فيه .

أطاع رجاله الأمر ، وأحكموا حصار الشارع ، فى
حين اتصل هو بمقر قيادته لاسلكيًا ، وهو يقول فى
توتر :

لم يكذب ينكس من قوله ، حتى لمح إشارة مصعد
السطح ، التي تشير إلى قنوم بعضهم ، فابتسم في شيء
من الجذل ، مستطرداً :

— ويبدو أنها ستكون سبع دقائق حافلة .

لم تمض بضع ثوان على عيرته ، حتى وصل
المصعد إلى السطح ، واندفع منه الرجال الثلاثة ، وهم
يحملون مدافعهم الآلية ، وهتف أدهم بزميله :

— أنت إلى اليمين ، وأنت إلى اليسار .. سأسيطر على
المنتصف .

انطلق الثلاثة يفتشون السطح في شراسة ، ولكنهم
ما إن ابتعدوا عدة أمتار ، حتى سمعوا صوتاً من خلفهم ،
يقول في سخرية :

— لا تهرقوا أنفسكم أيها الأوغاد .. أنا هنا .

استدار الرجال الثلاثة إلى مصدر الصوت في سرعة ،
ووقع بصرهم على (أدهم) ، وهو يبرز من خلف المصعد ،
فارتفعت فوهات مدافعهم نحوه ، ولكن قبل أن يكتمل
ارتقاها ، أطلقت قدم (أدهم) بأحداهما بركلة عنيفة ، ثم
نار حول نفسه ، وأبيض على مأسورة المنفع التالي ،
وجلب صلبه إليه في سرعة ، وضرب به زميله الثالث
بمبادرة مفاجئة ، سقط لها الرجل أرضاً . وزميلة يهتف في
غضب :

٥٦

— أيها الله ..

جعل (أدهم) يبتلع عبرته بكلمة ساحقة ، أضافت
إلى العبارة الثنتين من أسنان الرجل ، وجرة من ماله ،
قبل أن يسقط فائد الوعي . و (أدهم) يدور حول نفسه
في رشاقة مذهشة ، ويركل الثاني في أنفه ، الذي تحطم
في عنف ، وتلجرت منه الدماء ، التي حاول أن يمسحها
بكفه ، لولا الكلمة التالية ، التي أسقطته إلى جوار
زميله فائد الوعي بدوره ..

ووثب الثالث ، محاولاً استعادة منفعه ، وكانت يده
تلتقطه بالفعل ، لولا أن سبقته قدم (أدهم) إليه ، وركلته
بهذا ، وصاحبها يقول :

— هل كنت تأمل حقاً في هذا ؟

هز الرجل واقفاً ، وحاول أن يكلم (أدهم) بكل قوته ،
إلا أن هذا الأكبر أراح رأسه جانباً في يسر ، دون أن
يحرك قدميه ، وكفادى الكلمة قتلاً :

— آه .. أنت من الطراز الذي لا يتعلم أبداً .

ثم كال للرجل لكسة كالقنبلة ، مستطرداً :

— والذي يحتاج إلى دروس قاسية لإقناعه .

سقط الرجل في عنف ، وتدهرج بضع مرات ، قبل أن
يستقر لفائد الوعي ، إلى جوار زميله ، فابتسم (أدهم) ،
ونفض كفيه ، مغمغماً في سخرية :

٥٧

— أين أخفيت (يائيل) ؟

عقد (أدهم) ماسعديه أمام صدره ، وهو يقول
ساحراً :

— حاول أن تخزن .

أجابته (دار) في عصبية :

— الأمر لا يحتاج إلى العبقرية يا رجل .. إنه هنا في
مكان ما .

هز (أدهم) كتفيه ، قائلاً :

— فيم سؤالك إذن ؟

لوح (دار) بمدفعه في صرامة ، وهو يقول :

— محاولة لاختصار الوقت فحسب أيها المصري ، فرجأتنا
يحصرون المكان كله ، ويتكثرون كل شقة فيه ، وسيغثرون
عليه حتماً .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، وهو يقول :

— هذا لو أنه هنا .

قال (دار) في حدة :

— لا تحاول خداعي بهذا الأسلوب الساذج يا رجل ..

كلتا رأينا (يقول) وهو يركب السيارة معه ، وتطلق
أنت بها هارباً من السفارة ، و ...

قاطعه (أدهم) بسرعة :

٥٩

— والآن .. هل استوعبت الدرس ؟

أناه صوت صارم غاضب ، يقول :

— ليس بعد يا سيد (أدهم) .

استدار (أدهم) بسرعة إلى مصدر الصوت ، ورأى
(دار) يقف عند مدخل المصعد ، مصوباً إليه نظرة
نارية ..

ومدغماً ..

مدغماً آلياً قائلاً :

★ ★ ★ ★

لو أن ذلك المشهد جزء من فيلم سينمائي ، لهدا
للمشاهدين وكان شريط الفيلم قد توقف بقعة عن
الدوران ، وظل يعرض مشهداً ثابتاً لعشر ثوان أو يزيد ..
فلو أن هذه الفترة ، لم تصدر عن (أدهم) أو خصمه
أنى حركة ، وكل منهما يتطلع إلى عيني الآخر في صمت
وتحد ..

ثم قطع (أدهم) ذلك الصمت بقعة ، وهو يقول في
سخرية :

— رابع .. أهتلك يا (دار) .. هذا يثبت أنك ما زلت تفهم
أصناف المخبرات .

سأله (دار) في صرامة :

٥٨

— آنت واثق من أنكم رأيتموه ؟

أجابته (دار) :

— لا داعي لهذه الأساليب السفيفة . صريح أنك تسببت في قطع التيار الكهربى عن المنطقة ، ولكننا سمعنا جميعاً (يائيل) ، وهو يقول :

— قطعته (أدهم) مرة أخرى ، مكملاً :

— أسرع يا رجل .. أسرع بالله عليك .

نطقها بالصبرية ، وبصوت يستحيل تمييزه عن صوت (ياكيل) ، فلتستعين (دار) في ذهول ، وهو يهتف :

— مستحيل !.. لقد خدعتنا .

استغرق ذهنه لحظة واحدة ..

ولكنها كانت تكفى (أدهم) ..

بل كانت كل ما يحتاج إليه ..

ففى تلك اللحظة ، وثب (أدهم) إلى الأمام ، وقبض على مصمم (شيمون دار) ، وأجبره على إدارة لوحة مدفعه بعيداً ، وهو يقول :

— إنك ترتكب الخطأ نفسه ، الذى ارتكبه قرأتك يا (دار) .

ثم هوى على فكه بكلمة كالقنبلة ، مستطرداً :

— تمكنت أكثر مما ينبغي .

وأعقبها بأخرى ساحقة فى ألفه ، متابهاً :

٦٠

— وخسرت فرصتك .

تأوه (دار) فى ألم ، وتراجع فى عنف ، فى حين بقي مدفعه فى يد (أدهم) الذى هوى بكفه على فكه (دار) ، مضيقاً فى حسم :

— رمتحتلى فرصتى .

هوى (دار) فائد الوعى ، عند قدمى (أدهم) ، الذىلقى المدفع إلى جواره ، قائلاً فى سخرية :

— أعطتك أنك خسرت هذه الجولة يا (دار) .. خسرتها عن جدارة .

قلها ، وواصل قلزه ، من سطح إلى آخر ، تاركاً خلفه ذلك السؤال الغامض ..

أين ذهب (يائيل) إذن ؟ ..

أين ؟ ..

★ ★ ★

« أهد منازلنا الآمنة .. » (*)

نطق الملحق العسكري الصبارة فى هدوء ، إجابة لسؤال (نينا) التى فركت كفيها فى عصبية ، قلقة :

(*) المنزل الآمن : مصطلح يستعمله رجال المخابرات ، للإشارة إلى منزل أو مكان ، غير معروف لأخصومهم . يكتفهم الانسحاب فيه ، أو مقابلة الصلاة ، دون الخوف من المراقبة أو التتبع .

٦١

— لمست أدرى ما الذى يعنيه المصطلح ، ولكن يبدو أنه يعنى أى أحد منهم أن ينجح فى التوصل إلى مكاننا هنا .

غمغم (يائيل) :

— بالاضبط .

وتنهذ فى عقم ، قيل أن يضيف :

— الواقع أننى لم أكن أتصور أن نجح فى الوصول إليه . ولا فى أن تغادر مبنى السفارة أحياء .

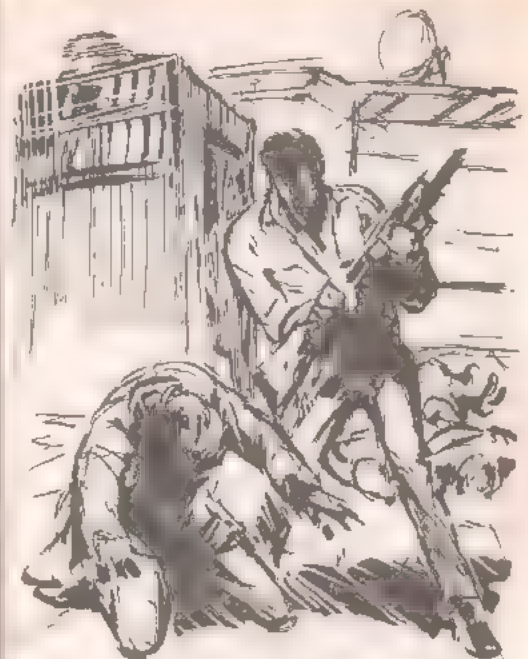
ابتسم الملحق العسكري ، وهو يقول :

— الفضل لله (سبحانه وتعالى) ، ولبراعة ميادة العقيد (أدهم) ، لمع انقطاع التيار ، وانفداعه من المبنى إلى السيارة . مع أهد رجال الأمن ، وهو يقلد صوته ببراعة منقطعة النظير ، بالإضافة إلى ما أحدثه من جلبة وتوتر ، بمبادرته غير المتوقعة ، كان من الطبيعى أن يرتبك الجميع ، وأن ينبغفوا إلى البوابة الأمامية للسفارة ، ويعدوا إلى مطاردة السيارة . مما منحنا فرصة مثالية للفرار من المخرج الخلفى . والتوصل إلى هنا . قالت (كينا) مبهورة :

— لهذا تعمد أن يروه فى وضوح ، عندما وصل إلى السفارة !

هز الملحق العسكري كتفيه ، وهو يقول :

٦٢



تأوه (دار) فى ألم ، وتراجع فى عنف ، فى حين بقي مدفعه فى يد (أدهم) الذى هوى بكفه على فكه (دار) ..

- إنه جزء من القطة .

عقد (يائيل) حاجبيه ، وهو يقول فى عصبية :

- كان ينبغي أن نستقل الموقف ، ونتجه مباشرة إلى المطار ، أو إلى الحدود .

أجاب الملقى العسكري :

- مستحيل .. صحيح أننا نجحنا فى مقادرة السفارة ، والانتقال إلى بقعة لا يعرفها أحد ، ولكن الإسرائيليين ما زالوا يسيطرون على الحدود والمطار ، والاندفاع إلى أيهما كان كفيلا بإفساد الأمر كله .

قال (يائيل) فى توتر :

- إذن فعل ما حدث هو أننا انتقلنا من سجن إلى سجن فقط .

أجاب الملقى العسكري فى صرامة :

- خطأ يا رجل .. لقد انتقلنا من مكان يعرفه قومك ، إلى آخر يجهلونه ، وهذا إنجاز عظيم بالنسبة للموقف ، حتى هذه اللحظة .

قال (يائيل) فى قلق :

- من الواضح إذن أنك لا تعرف قومي جيدا .. إنهم سيبركون القذعة فى سرعة ، وربما ألغوا القبض على (آدم) هذا ، أو على رجل الأمن الذى صحبه فى خدعته ، وسيحصلون على ما يبتغون حتما .

٦٤

ابتمتع الملقى العسكري ، وهو يقول :

- هل من الواضح لك أنت لذى يجهل قومي يا رجل .. عياقرة (المومس) هؤلاء إن يعتنهم أبذا الشعور على رجل الأمن ، وهذا لأنهم يبحثون عنه وعن (آدم) ، وليس عنه ، أما بالنسبة لـ (آدم) ، فانت تعلم مثلى أن وقوعه فى قبضتهم أمر شبه مستحيل .

ثم مال نحوه ، مستطردا فى حزم :

- إنه محترف يا رجل .. محترف حقيقى .

لم يكذب عبارته ، حتى تبعث صوت يقول :

- أأنت واثق من هذا ؟

واكتفت الجميع فى سرعة إلى مصدر الصوت ..

وكالت مفاجأة ..

مفاجأة مدعشة .

★ ★ ★



٦٥

٥٥ - دحا المحيا ، ١٩٣٦ ، الموقف ٢

٥ - المحترفون ..

(كراكس) .. العاشر من يوليو ..

منتصف الليل ..

اتخذ حاجبا المفتش (بارو) فى غضب شديد ، وهو يشعل سيجارته فى عصبية ، ويقول محتذا :

- ماذا حدث بالضبط ؟ كيف تتحرك شوارعنا إلى ساحات قتال ، فتطلق فيها الرصاصات ، ويتم تفتيش المنازل الآمنة ، وينور القتال على الأسطح ، وكأنه لم يعد هناك وجود للأمن أو أنظمة الشرطة فى البلاد ..؟ كيف ؟

بدا الغضب فى صوت (دار) ، وهو يقول :

- ربما ليس لها وجود بالفعل يا رجل .

التفت إليه المفتش ، قائلا فى غضب :

- حقا ؟.. كيف تفسر إذن وجود تلك الأضلاع ، التى أحطنا بها معصمك ، بعد أن عثرنا عليك أنت ورجالك فافدى الوعى ، فوق أحد الأسطح ؟؟

أجاب (دار) فى حدة :

٦٦

خطأ غبى ، سيتم تصحيحه بسرعة .

جنبه (بارو) من سترته ، وتطلع إلى عينه الواحدة السليمة ، وهو يقول فى صرامة :

- ربما .. أنك تفرئنى بإصلاحه بنفسى ، بضربة مباشرة فى عينك الأخرى .

اشتعلت نيران الغضب فى ملامح (دار) وصوته ، وهو يقول :

- الرجل لذى فقا تلك العين ، سيلقى أسوأ مصير يمكن أن يروده ، فى أشنع كوابيسه ، أما أنت ..

قاطعه (بارو) فى حدة :

- أما أنا فماذا أبها الواقع ؟.. هن نتصور أنك ما زلت تستطيع التحدث بكل صفاقة ، فى الوقت الذى ...

» .. (بارو) .. «

قاطعه تلك الصيحة الهادرة ، التى نطقت اسمه بصرامة شديدة ، فالتقى حاجباه فى ترتز ، وهو يلتفت إلى مصدرها ،

ووقع بصره على وجه كبير المفتشين (يوناسير) ، الذى يندفع نحوه ، ويشير إلى (شيمون در) ، مستطردا :

- أطلق سراح هذا الرجل .

ارتفع حاجبا المفتش (بارو) فى دهشة ، وهتف مستكبرا :

٦٧

- أطلق مراحه ١٢.. كيف ؟.. إنه ...

صاح كبير المفتشين فى ثورة :

- هذا أمر ؟

مط (باردو) شفتيه فى غضب ، وهو يحل الأخلال
عن مصصى (دار) ، الذى اتسم فى سفيرة ، قللاً :

- لم أكل لك ؟

اتترع (باردو) الأخلال فى حق ، وهو يقول :

- لم ينته الأمر بعد ، والحكمة تقول : من يضحك

أخيراً ..

قاطع (دار) :

- هذا لو وجد الفرصة ليضحك .

رمقه المفتش (باردو) بنقرة تارية ، ثم أشاح
بوجهه حقه ، وكبير المفتشين يستطرد فى عصبية :

- وأطلق مراح رجله أيضاً .

مسح (دار) مصصيه ، وهو يتجه نحو كبير المفتشين ،
وقال فى حدة غاضبة :

- لماذا تأخرت ؟

تلقت (يوناسيو) حوله فى توتر ، وهو يهيب :

- لقد حضرت لور أن أبلغنى بالأمر ، وحاول أن يخفض
صوتك ، فأنت تعرضنى لحرج بالغ .. المفروض أننى
كبير المفتشين هنا .

٦٨

أجاب (دار) فى عصبية :

- ربما ، ولكنك تتقاضى منا أضعاف أضعاف ما تتقاضاه
من عملك ، والمفروض أن تحصل على مقابل لهذا .

قال (يوناسيو) فى حدة :

- وأى مقابل أفضل مما تحصنون عليه بالفعل ؟..

لقد جندت كل أفرع الشرطة لخدمتكم هذه المرة ، وحتى
حرس الحدود والسواحل ، ولا يمكن لرجلكم أن يهاجر
البلاد سالماً ، حتى ولو تنكر فى هيئة نهابة ، وهأنذا
أطلق سراحك وسراح رجالك ، بعد أن حولتكم شوارعنا
لساحة قتال ، واستباحتكم كل غير فيها .. ما الذى تريدونه
بعد كل هذا ؟

أجاب (دار) فى صرامة :

- الكثير .. لقد نجح الرجل فى الفرار من مهنى
السفارة المصرية بالفعل ، بفضل خطة متقنة ، فلماذا واحد
من ألد وأقوى خصومنا ، وهذا يزيد الموقف تعقيداً ،
ويجعله أكثر ..

قاطع أريز خافت : قبل أن يتم عبارته ، سأختطف
جهاز اللاسلكى من حزامه ، وأقال فى لهفة ، وباللغة
العبرية ، التى يجهلها كبير المفتشين :

- هنا (دار) .. ماذا حدث ؟

ولم يك يسمع تلك الحديث ، الذى نقلته إليه اللاسلكى ،
بنفس اللغة العبرية ، حتى تأملت عيناه ، وهتف :

٦٩

شحب وجه (يائيل) ، وهو يسأله :

- كيف وصلت إلى هنا ؟

أطلق (جولوى) ضحكة ساخرة ، قبل أن يقول :

- يبدو أن كل شخص هنا يتصور أنه المحترف الوحيد
فى اللعبة .. إتنى أعترف بأن رجلكم (أدهم صبرى) قد
أدى دوره بمهارة مذهلة كالمخاد . ونجح فى تشتيت
الانتباه ، ودفع الجميع إلى واجهة السفارة .

وبرقت عيناه ، وهو يشير إلى صدره ، مستطرداً :

- الجميع فيما عداى .. أنا وحدى اتجهت إلى الخدعة ،
وكممت فى نقطة خفية ، حتى رأيت سيارة تفادر الباب
الخلفى ، وتبعد عن السفارة فى حذر .. وعلى الرغم
من أننى لم أتبين وجوه ركبائها ، من خلف زجاج
نوافذها الداكن ، إلا أننى تبعتها بوحى من غريزتى ،
التى اكتسبتها من طول عملى فى فرقة الاختيالات ، ولم
أسمح لها بخداعى ، أو الإقلاص منى ، على الرغم من
المنورات العديدة ، التى قلمت بها ، حتى وصلت إلى
هنا .

واستعاد ابتسامته الساخرة ، مضيقاً :

- والبالى لم يد صعباً .. مجرد تسأل عجر التوافذ
الخلفية .

٧١

- رابع .. نحن فى طريقنا إليك على الفور .

وأعاد جهاز اللاسلكى إلى حزامه ، وهو يقول لكبير
المفتشين فى انفعال :

- يبدو أننا سنتج إلى معاونة عاجلة منك
يا (يوناسيو) .. معاونة ستتم عليك أن تحشد أقوى
رجالك ، حتى تربح هذه الجولة من الضربة الأولى ،
فالدلال تشير إلى أنها ستكون جولة حاسمة .

وبرقت عيناه فى شدة ، وهو يستطرد :

- وأخيرة ..

★ ★ ★

اتحد حاجبا الملحق للسعى ، وهو يحدق فى وجه
تلك القادم الجديد ، وشهقت (نيشا) ، وهى ترتد فى
عنف ، فى حين انتفض قلب (يائيل) بين ضلوعه ،
وهو يهتف فى دمة هلعة .

- (جولوى) ؟

أجاب (دار) فى صرامة ، وهو يصوب مسنده الآلى
إلى الجميع :

- بالضبط يا (يائيل) .. (لون جولوى) .. زميلك المسابق
فى فرقة الاختيالات

طريف مثله أن تذكرتنى ، على الرغم من مرور عدة
أعوام ، على آخر لقاء لنا .

٧٠

شعر الملحق العسكري بالضيق ، أما بطنه وجوه
(جولهي) ، من فضله في توريب (باليل) ، و (نينا) ،
وبكت الأخيرة في ارتياح ، موقنة من أن نهايتها صارت
قاب قوسين أو أدنى ، في حين قال (باليل) في
عصبية :

— ماذا تتوي أن تفعل يا (جولهي) ؟

أجاب (جولهي) في سخرية :

— يا له من سؤال يا صديقي القديم !

ثم جذب مشط مسننه ، وكرسه يرتد في قوة ،
مستغرذا :

— سأنفذ الأوامر بالطبع .

هتف (باليل) :

— ولتفهم حاولوا قتل يا (جولهي) .. حاولوا قتل
لمجرد قتل طينتي الاعتزال .. نفس ما سيفعلونه بك ،
إذا ما تقيمت يوما بالطلب نفسه .

أجاب (جولهي) في صرامة :

— عاين .. كلنا نعلم أنه خنت الوطن .. هذا ما أخبرونا
به .

صاح (باليل) :

— إنيهم عاينون .. يحاولون تبرير فعلتهم للقنرة لمصعب .

٧٢

هتف (جولهي) :

— ليس هذا من شأنى .

ثم اقترع جهاز اللاسلكى من حزامه ، وضغط زر
الاتصال فيه . وانتظر حتى سمع صوتا يقول بالعبرية :

— هنا (بار) .. ماذا حدث ؟

أجاب بثلث اللغة :

— أنا (جولهي) .. لقد عثرت على (يادل) ، وأنا أسيطر

على الموقف .. إليك العنوان ..

ولم يكذب ينهى إليه بالعنوان ، حتى ارتفع صوته ،
عبر جهاز اللاسلكى ، وهو يهتف :

— رابع .. نحن في طريقنا إليك على الفور .

أنهى (جولهي) الاتصال ، وأعاد جهاز اللاسلكى إلى
حزامه ، وهو يقول :

— يا للقسارة !.. كنت أتمنى لو أمرنى بقتلكم على
الفور ، لود (بطاء) .

بكت (نينا) في حرارة ، وهي تقول :

— إنها النهاية .. كنت أعظم أنها النهاية .

تحركت يد الملحق العسكري في حذر ، في محاولة
لائتقاط مسننه ، إلا أن (جولهي) استدار إليه في سرعة ،
وهتف صارما :

٧٣

ضامت الدنيا أمام عينى (جولهي) ، وترنح في
عنف ، وحاول أن يمسك توازنه ، إلا أن كلمة ثانية من
(أدهم) أسقطته فاقد الوعي ، فاندفع (باليل) يختطف
مسننه ، ويصوبه إليه صائحا :

— أيها الودع الحبيب .

كان يهم باعتصار زناد المسنن بالفعل ، وتسف
رأس (جولهي) الفاقد الوعي ، ولكن (أدهم) ركض
المسنن من يده ، وهو يقول غاضبا :

— هل جئنت يا رجل ؟!.. أتطلق النار على رجل فاقد
الوعي ؟

صاح (باليل) غاضبا :

— إنه يستحق هذا .

هتف به (أدهم) :

— اصمت .

كانت الصيحة صارمة ، حتى أنها ألجمت لسان (يادل) ،
فترجع في حوتر ، وأفسح المجال لـ (أدهم) ، وهو
يستطرد :

— وجود هذا الرجل هنا يعنى أن المنزل لم يعد آمنا ،
كما يفترض ، ومعنى هذا أننا سننتقل مباشرة إلى
الخطة الاحتياطية ..

٧٤

— إليك أن تحاول .. إليك حتى أن تفكر في هذا .. هيا ..
التقط مسننك ، والقه أرضا ، مستخدما مسيلتك وإيهامك
فحصب .

بدا لحظة ، وكان الملحق العسكري سيطوح الأمر ،
ولكن فجأة ، توقفت (نينا) عن الكلام ، واشرب (باليل)
بعضه ، وتألفت عينا الملحق العسكري ، مما جعل (جولهي)
يستدير خلفه في سرعة ، والتفص جسده كله في عنف ،
غديما نهضت أصابع فولانية على معصمه ، وأبعدت
مسننه ، في حين ارتطمت عيناه بنظرة صارمة ، تجذبت
لها الدماء في حروقه ، مع ذلك الصوت القوي الساخر ،
الذى يقول :

— يؤسفنى أن أقصد خطتك .

ضغط (جولهي) زناد مسننه بحركة غريزية ،
فانطلقت منه رصاصة اخترقت الجدار ، قبل أن يلو (أدهم)
معصمه بحركة قوية سريعة ، مستغرذا :

— خطأ .. إطلاق النار هنا يستلزم تصريحا خاصا .

ثم هوى على فك الرجل بكلمة ساحقة ، هتعت أنفه
تماما ، وهو يضيف :

— وها هوذا .

٧٥

ثم أفرج من جيبه خريطة ، فردها فوق المائدة ،
قائلاً في هزم :
- الإسرائيليون يتوقعون مطاردة رجل وامرأة ، بصحبة
أحد رجال المخابرات المصرية ، إذن فالخطوة الأولى
في خططنا الاحتياطية هي أن نفسد توقعهم هذا ..
سنقسم إلى فريقين .. فريق يتكون من (نينا) والملحق
المسكبي ، وسيجه شرقاً ، ويستقل زورقاً يغارياً إلى
جزيرة (ترناد) ، حيث ينتظرهما هناك أحد رجالنا ،
يجوز سفر ديوناسي - (نينا) ، ويحت أتيق ، سيحملها
إلى (لورتاليزا) في (البرازيل) ، وهناك ستجد فريقاً
من رجالنا ، يتولى نقلها إلى (القاهرة) .. أما الفريق
الثاني ، فسيكون من (يائيل) وأنا .
قالت (نينا) في عتاد :
- لن أفرق عن (يائيل) أبداً .
أجابها (أدم) في صرامة :
- لا مجال هنا للمناقشة .. الوقت والظروف لا يسمحان
بهذا .
وربت (يائيل) على كتفها ، قائلاً في أسف :
- إنه على حق يا (نينا) .. لن ننجو أبداً ، إلا
لو افترقنا .

تفرقت في حينها النموع ، وتعلمت إلى عيني
(يائيل) ، مضضة :
- سيكون ذلك شاقاً .
خضع في خان :
- ولكن لا مفر منه .
كان الموقف عاطفياً للغاية ، أهدأ إلى ذهن (أدم)
تكرار مقارنته السابقة مع (نينا) ، فاختلج قلبه بين
ضلوعه ، وشعر بغصة في حلقه ، جعلت صوته يتحسرج .
وهو يتصنع الصرامة ، قائلاً :
- يسفني أن ألتصعما ، ولكن الوقت أضيق من أن
نضبعه في مواقف عاطفية كهذه .. لقد رأيت كيف
يتعامل الإسرائيليون هنا ، وهذا يؤكد أنهم على علاقة
وثيقة بالسلطات الفنزويلية ، وأنهم سيصلون إلى هنا
خلال سبوع دقائق على الأكثر ..
ثم أدار عينيه إلى الملحق المسكبي . مستطرداً :
- انتقل أولاً إلى المنزل الآمن رغم التثني ، ثم ابدأ
تنفيذ خط سير في الوحدة والتصف صليحاً بالضبط .
وأمسك يد (يائيل) ، قائلاً :
- هيا بنا .
تحركا لتفريكان في لهلة ، ثم هتفت (نينا) في نوعية :
- (يائيل) .

التفت إليها الإسرائيلي بنظرة حاتية ، فاستطردت
بأكية .
- عني أن تبذل قصارى جهدك ، للمحافظة على حياتك .
ازدرد لعابه في صعوبة ، وهو يقضم :
- أعدك .
ثم أشاح بوجهه ليخفي نموعه ، مستطرداً :
- هيا يا سيد (أدم) .. هيا بنا .
كان الأكم يشتغل في مواضع إصاباته ، في فخذيه
وكتفه ، إلا أن هذا لم يمنعه من السير . إلى جوار (أدم)
بأقصى سرعته ، وهذا الأخير يقول :
- إتنا لم ننتخب هذا المتزل عبثاً ، فهناك ممر في
الطابق الثاني ، يربط المبنى كله بالمبنى المجاور ، مما
يمنحنا فرصة الفرار ، إذا ما حاصروا المنزل .
كلما ينطلقان عبر ممر الرطب ، عندما ارتفعت أبواب
سيارات الشرطة ، وهي تتوقف عند مدخل البناية ، وتعالى
وقع أقدام الرجال ، عبر درجات سلمها . فقال (يائيل)
متوتراً :
- لقد وصلوا بأسرع مما كنت أتوقع .
ألقي (أدم) نظرة على ساعته ، وهو يقول :
- بل خلال سبع دقائق بالتحديد .

بلغا البناية المجاورة خلال ربع دقيقة لحسب ، وهبطا
في درجات سلمها إلى الطابق الأرضي ، وهناك قال
(يائيل) متوتراً :
- ولأن ماذا ينبغي أن نفعل .. هل نجرى ميتعين ؟
أجابها (أدم) في هدوء :
- بل نحصل على وسيلة مواصلات مناسبة .
سأله (يائيل) في قلق شديد :
- كيف ؟
لم يجب (أدم) على الفور ، وإنما ألقي نظرة حذرة
على جانبي الشارع أولاً ، قبل أن يجذبه من يده ، ويغادران
المبنى ، وهو يقول :
- أترك كل شيء لوقت .
قالها ، وهو يتجه معه إلى سيارة رياضية صغيرة ،
تقف أمام بوابة المبنى مباشرة ، وفتح بابها ، مستطرداً :
- أسرع يا رجل .
قفز (يائيل) داخل للسيارة ، وهو يهتف في دهشة :
- أهي سيارتك ؟
أجابها (أدم) في بساطة :
- لقد تركتها هنا احتياطياً ، و ...
قبل أن يتم عبارته ، ارتفعت صيحة تهتف :
- إنهما هنا .

٦- المطاردة..

لهتت (نيا) بمزيج من التوتر والانفعال ، وهي تصعد في درجات السلم قفزاً ، إلى جوار الملحق العسكري ، في البداية نفسها ، وسالته في توتر شديد :
- إلى أين نذهب ؟.. أليس من المفروض أن نتجه إلى المنزل الآمن رقم اثنين ؟
أجابها ، وهو يتجه نحو شقة في الطابق الأخير :
- وهذا ما نلذه بالضبط .
ارتفع حاجبها في دهشة عارضة ، وهو يترقب الباب ، وهتفت :
- أأهذا هو ؟؟
فتح رجل نحيل أشيب الشعر باب الشقة ، وبدا وكأنه ينتظرهما بالتعديد ، وهو يشير إليهما ، قائلاً :
- ادخلا بسرعة .
جنبها الملحق العسكري من يدها إلى داخل الشقة ، وهو يقول للرجل :
- هل أعدت كل شيء ؟

٨١

- هذا هو خط دفاعنا الثاني ، فالمنصور (كاجيني) يصل لحساب المخابرات المصرية منذ زمن ، وكل الجيران هنا يعلمون أنه يرعى زوجته للعجوز سنويًا (كاجيني) ، ويقيم معها ومع ولده (أليانو) منذ عام كامل ، ولكن أحدهم لم يتبادل تحية واحدة من المنصور العجوز ، التي تجلس بمقعدها المتحرك في الشرفة ، في الأيام الدافئة . وتختلي داخل المنزل في الأيام والليالي للبردة ، أما ابنهما (أليانو) ، فبعد إضافة شارب كبش ، وشعر مستعار ضخم ، أصبح نسخة طبق الأصل منه . أشارت إلى ثياب النمية ، التي طواها الرجل في غناية ، وسها في أحد الأراج ، وهي تقول :
- هل تعني أنني ..
قأطعها الملحق العسكري في حسم :
- نعم يا سيني .. ستركين ثياب سنويًا (كاجيني) ، وتجلسين صامتة على مقعدها المتحرك ، بشعرها الأشيب ، ومنظرها الطبي المسمك ، حتى ينتهي التفتيش ، ويدها نبدأ رحلتنا ، طبقاً للخطة الاحتياطية .
هتفت مبهررة ، وهي تلتقط ثياب النمية :
- يا للراحة !.. ترى هل سيحظى (أليانو) بخطة مماثلة ؟

٨٢

أدار (أدم) عينيه في سرعة إلى مصدر الصوت ، ووقع بصره على عدد من رجال الشرطة يندفعون نحو السيارة ، من أول الطريق ، وعلى رأسهم (شيمون دار) بعينه الواحدة ، والعصابة التي تخفي عينه الثانية ، فوثب داخل السيارة ، وأدار محركها ، هاتفا :
- يبدو أن قومي أكثر ذكاء مما كنت أتصور يا رجل . وضغط دواسمة الوقود بكل قوته ..
وانطلقت السيارة ..
ومن خلفها ، انطلقت مصاصات (دار) ورجال الشرطة ، وسمع (أليانو) صوتها ، وهي ترتطم بجسم السيارة ، وزجاجها الخلفي ، فهتف وهو ينحن في مقدمه :
- لم تتجح خطتك يا رجل .
ولم يطق (أدم) ..
لقد كان ينطلق بأقصى سرعته نحو مخرج الشارع ، عندما انفجعت واحدة من سيارات الشرطة بقشة ، لتقطع الطريق ، وتتوقف بعرضه ، ووثب منها أربعة رجال ، راوحوا يطلقون النار على السيارة بدورهم ..
السيارة التي وقعت بين شقي الرعي ..
أوبن المطرقة والسندان ، ولم يدها أمل في الفرار ..
أننى امل .

★ ★ ★

٨٠

أجابها الرجل في حزم :
- كل شيء على ما يرام .
للتفت الملحق إلى مقعد متحرك ، جلست فرقه عجوز متهاكة ، ذات شعر أشيب طويل ، وشرط بسيط ، ومنظار طبي سميك ، وسأل الرجل :
- وكيف حال سنويًا (كاجيني) ؟
ابتسم الرجل في سخرية ، لا تتناسب مع الموقف ، وهو يجيب :
- ما زالت تنتظر اللحظة المناسبة ، لتحصل على شيء من الأهمية .
ثم توجه نحو العجوز ، التي لم تحرر عنها واحدة . منذ وصول (نيا) والملحق العسكري ، وانتزعها من المقعد المتحرك في قسوة عجيبة ، شهقت لها (نيا) في هلع ، وصرخت عندما اتجه بها الرجل نحوها :
- ماذا تفعل أيها المجنون ؟.. إنك ستقتلها !
ابتسم الرجل في سخرية ، وهو يقول :
- لا يمكنك قتل شيء لا حياة فيه يا سيتورينا .
اتجهت (نيان) ، في هذه اللحظة فقط ، إلى أن تلك العجوز لمست سوى دمية مطاطية ، انتزع عنها الرجل الشعر الأشيب المستعار ، والمنظار الطبي المسمك ، والتأوب البسيط ، والملحق العسكري يقول :

٨٢

هز المتلحق العسكري كثفيه ، وهو يقول :
 - لا يمكننى إجابة سؤالك فى الواقع يا سئفى ، لفى
 علمنا لا ينبغي أن يعرف المرء أكثر مما يحتاج إليه .
 ثم شرد بهصره ، مستطردا :
 - ولكن الشئ الذى ينبغي أن نثق به ثمة مظنة ،
 هو أنه فى يد أمينة للغاية . وتحت رعاية الله (سبحانه
 وتعالى) ، متمثلة فى واحد من أبرج رجال مغايرتنا
 على الإطلاق .
 وسرت فى جسدها قصيرة عجيبة ، والمتلحق العسكري
 يضيف فى حزم :
 - رجل المستحيل .

★ ★ ★

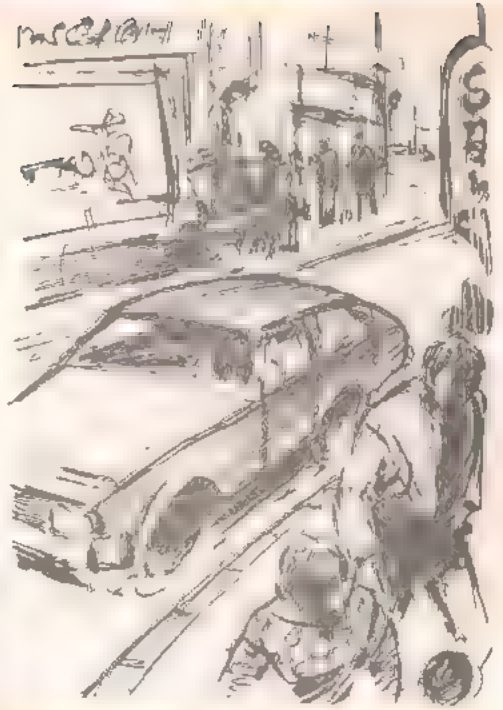
لم يحاول (أدم) حتى التخفيف من سرعته ، وهو
 يواصل الاطلاق نحو نهاية الطريق ، على الرغم من
 سيارة الشرطة التى اعترضت طريقه ، والرصاصات
 التى تنطلق نحوه من الأمام والخلف ..
 كل ما فعله هو أن هتف :
 - نخفض رأسك يا (يائيل) .
 ومال بسيارته إلى أقصى اليسار ، ثم أمال عجلة
 القيادة بمهارة مدهشة ، فمالت على جانبها الأيسر ،

وارتفع بطارها الآخرا عاليا ، دون أن يتوقف انشغالها ،
 وانطلقت فوق إطارى اليسار وحدها ، على نحو تصمت
 له عيون رجال الشرطة فى ذهول ، وهتف أحدهم مبهورا :
 - رياه .. نفس ما يحدث فى السينما .
 قالها والسيارة تعبر الفراغ الضيق ، بين السيارة
 وجدار المبنى ، بهذه الزاوية المدهشة ، ثم تميل مرة
 أخرى إلى اليمين ، وتعود إلى إطاراتها الأربعة ، لتواصل
 انطلاقها مبتدعة ، والرصاصات تلاحقها فى جنون .
 وفى دهشة بلا حدود ، هتف (يائيل) :
 - كيف أمكنك أن تفعل هذا ؟! .. كنت أظنه لا يحدث إلا
 على شاشة السينما وحدها .
 أجابه (أدم) بابتسامة باهتة :
 - إتنى أستخدم الأسلوب نفسه ، الذى يتبعه المخاطرون
 فى السينما (*) .
 ثم اعتقد حاجباه ، وهو يتطلع إلى مرآة السيارة ،
 مستطردا :

(*) المخاطرون : فئة خاصة ممن يلصقون دور البديل فى
 السينما ، يتم تدريبهم على نحو خاص ، بحيث يمكنهم أداء الحركات
 المعقدة والبالغة الخطورة ، ويتم اختيارهم فى المعتاد من بين
 لاعبى الكرويك ، أو محترفى سباقات السيارات ، أو رجال القوات
 الخاصة السابقين

ارتسمت لابتسامة ساخرة على شفتى (أدم) ، لم
 تستغرق أكثر من جزء من الثانية ، قبل أن تقتفى فى
 أعصافه ، وهو يجيب فى صرامة :
 - إنما أفعل هذا من أجل (مصر) .
 قلها ، ومال بالسيارة إلى شارع آخر ، وصوت أبواق
 سيارات الشرطة يأتى من بعيد ، وهتف :
 - هيا .. اهبط هنا .. اختبئ بين هذه المتاجر الصغيرة ،
 ولا تقاربى مكاتبك قط ، حتى أعود إليك .. هل تفهم ؟
 غادر (يائيل) السيارة فى سرعة ، قائلا :
 - فهمت .
 تطلق (أدم) بالسيارة مرة أخرى ، فى حين تراجع
 (يائيل) ليختفى بين المتاجر الصغيرة ، ولم يكد يفعل ،
 حتى برزت سيارات الشرطة الثلاث من التلصية ، وتجاوزته
 بسرعة مدهشة ، لتواصل مطاردة (أدم) ، الذى الحرف
 بسيارته عائدا إلى الشارع الرئيسى ، مقصفا :
 - أرجو أن تكون قد فهمت بالفعل أيها الإسرائيلي .
 كانت الشوارع هائلة إلى حد ما ، فى تلك الساعة
 المتأخرة ، مما ساعده على الإطلاق عبرها بأقصى
 سرعة ، وخلفه السيارات الثلاث ، التى حملت خليطا من
 رجال الشرطة و (الموساد) ، وعلى رأسهم (يوناسيو) ،
 و (شيمون دار) ، والأول يهتف صر جهاز اللاسلكى :

- ولكن المطاردة لم تنته بعد .
 التفت (يائيل) فى توتر ، وشاهد سيارات الشرطة
 الثلاث ، التى تطاردنها فى إصرار ، وقال :
 - إنهم يملكون المنيئة كلها ، ولن يمكننا الفرار منهم
 إلى الأبد .
 أجابه (أدم) فى حزم :
 - السهم أن نبذل قصارى جهننا .
 قلها ، وانحرف بقعة إلى شارع جانبى ، وزد من سرعة
 السيارة إلى الحد الأقصى ، وهو يعبره إلى نهايته ، ثم
 ينحرف ثانية إلى شارع آخر ، و (يائيل) يقول :
 - هل تحاول إربكتهم ؟
 أجابه (أدم) فى حزم :
 - بل أحاول متحك فرصة لمقادرة السيارة ، دون أن
 يشعروا بهذا .
 هتف (يائيل) فى دهشة بالغة :
 - مقادرة السيارة ؟!
 أجابه وهو ينحرف بسرعة مخيفة فى شارع آخر :
 - بالتأكيد .. لن أمتحهم أبنى فرصة لاستعادتك .
 حتى فيه (يائيل) لحظة فى دهشة ، قبل أن يقول :
 - هل تفعل كل هذا من أجلنى ؟



يطلق نهم ، ركب دره حرق في حرم راجع (يايل)
لحصى بين الناحر الصغيرة .

- الهدف يطلاق نحو تقاطع شارعى (سيمون)
و (خاربه) ، فى سيارة (بورش) صفراء .. أطلقوا
النار بلا تردد . استوفوه لولا القضى الأمر .. المهم ألا تسمحوا
له بالفرار أبداً .

رأى (أدهم) سيارتين من سيارات الشرطة تقطعان
نهاية الطريق ، ويبرز من إحدهما رجل ضخمة الجثة ،
يحمل على كتفه مدقفاً صغيراً ، من تلك المدافع المضادة
للنابات ، ويصويه إليه ، فقمقم ساخرًا :

- إلى هذا الحد ... يبدو أن (الموساد) يطلع بسخام ،
ليشتري تسم جهاز الشرطة كله ، وإلا ما وصل بهم
الأمر إلى إطلاق منفع مضاد للنابات ، وسط طريق عام .
استعاد عقله نفعة واحدة ، ذكريات صليباته السابقة .
إبن حيله فى القوات الخاصة ، قبيل التحاقه بالمخابرات
العلنية (*) ، ووجد نفسه يهتف فى حماس ، وعناء قهرسان
سبابة الرجل :

- الله أكبر .

كانت نفس الصيحة ، التى رنبتها آلاف الحناجر نفعة
واحدة . عندما بدأ العبور العظيم ، فى الأساس من أكتوبر ،
عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين ..

(*) راجع قصة (الخطوة الأولى) ... المظلة رقم (٢١) .

- استكر فى بطء ، وحذار أن تأتى بأى تصرف مباغت ،
فرصاصتى ستكون الأسرع حتماً .

استدار إليه (يايل) فى بطء ، ولم يكذ ضوء مصباح
الطريق يضر وجهه ، حتى اتسعت عيناه رجل الشرطة ،
وشهق .

٠ إئن فهو أنت .

نطق كل حرف من حروف عبارته بقوته الشديدة ،
وكراج بضغ خطوات ، وهو يصوب إليه مسدسه بحفظ
أكبر ، مستطرذاً فى حدة :

- رياه ..! إنهم يلقبون المدينة كلها بحثاً عنك ، وأنت
تختبئ هنا .. لقد تصورت أن ذلك الانفجار موجه إليك .
ثم اترع جهاز اللاسلكى من حزامه . قائلاً :

- همارقم (٧٠٩) .. لقد عثرت عليه فى شارع (ميلو) ..
أريد إمدادات بالقصى سرعة ، قبل أن ..

كان يحنى قليلاً ، ليتحدث عبر الجهاز ، وشعر (يايل)
أنها فرصة مناسبة .
وانقض .

كانت انقضاضته مباغتة بالفعل ، إلا أن رجل الشرطة
ضيق زناد مسدسه بحركة غريزية . وهو يتراجع
هاتفاً :

تلك العبور الذى مهد له مع رفاقه ، من أبطال القوات
الخاصة ، وكان أحد أسباب نجاحه ، عندما أحضر خريطة
أنابيب التابلان من قلب (إسرائيل) (*) ، وتمكن رفاقه
من إسناد قاذبتيها ، قبيل العبور بساعات معدودة ..

ومع صيحته ، أطلق الرجل قذيفته المضادة للنابات ..
ولوى الانفجار ..

★ ★ ★

انتفض جسد (يايل) فى عنف ، مع دوى الانفجار ،
الذى بلغ مسامعه ، وتصيب على وجهه عرق بارد ،
وهو يتمم :

- ترى ماذا حدث ؟.. هل نسفوه ؟!

كاد الفضول يقتله ، وهو واقف فى مكانه . دفع جسده
إلى الأمام قليلاً ، ليرفح السمع أكثر . ولكنه لم يعد
يفعل ، حتى سمع صوتاً صارخاً يهتف :

- قف مكاتك .

تجمد (يايل) فى موضعه . وخفق قلبه فى عنف ،
ورجل الشرطة القزويلى يصوب إليه مسدسه فى تحفز ،
مستطرذاً :

(*) راجع قصة (خيط الذهب) ... المغامرة رقم (٣٢) .

- قلت لك : لا تفعل .

انطلقت الرصاصة ، وشعر بها (يانيل) تحتك بجانبه الأيمن ، وتحرق سترته وقمصينه ، وجزءاً من لحمه ، قبل أن يدفع مسدس الشرطي بعيداً ، ويلتكمه بكل قوته ، قائلاً :

- لن تفسد الأمر الآن .

اشتبك معه الشرطي في شجار عنيف ، أثبت أنه أكثر قوة مما كان يتوقع (يانيل) ، الذي بذل قصارى جهده ليهرب فوهة المسدس عن جسده . ولكن الشرطي ركله في معدته بكل قوته ، وهو يهتف :

- إن تهزمنى بسهولة :

ثم لكمة في كتفه المصابة ، مستطرداً :

- هناك مكافأة ضخمة لمن يظفر بك .

تأوه (يانيل) في ألم ، وتراجع على الرغم منه ، فوثب الشرطي إلى الخلف ، هاتك :

- وهذه المكافأة واحدة في الحاليتين .

وصوب مسدسه إليه ، مستطرداً في صرامة :

- حياً أو ميتاً .

وضغط الزناد ..

ودوت الرصاصة ..

* * *

في نفس اللحظة ، التي ضغط فيها رجل الشرطة زناد المنفع المضاد للمبابات ، انحرف (أدهم) بمسيارته جانباً ..

كانت مهارة من نوع نادر ، لا يمكن أن يكتسبها إلا رجل مثله ، بدأ تدريباته في سنوات عمره الأولى (*) ، وصقلها بغير كل لاجد لها ، طوال سنوات عمره ، التي اقتربت من الأربعين ..

وبفضل هذه المهارة ، اهتمت ميئارته عن مسار التقنية المضادة للمبابات ، في اللحظة المناسبة بالضبط .

وانطلقت التقنية تتجاوزها ، وتواصل طريقها إلى سيارات الشرطة لمطاردة الثلاث ، فالتصت عينا (يوناسيو) في ارتياح ، وصرخ :

- اللعة ؟ .. كيف فعلها ؟!

وفي اللحظة التالية مباشرة ، ارتطمت التقنية بسيارة الشرطة الوسطى ..

ودوى الانفجار ..

كان انفجاراً حقيقياً ، أطاح بالسيارة ، وتسحقها تسحقاً ، وأجبر الميئارين الآخرين على الانحراف في عنف ، فقتلت

(*) رجع قصة (ملحة الجحيم) ... مقبرة رقم (٦١) .

- فلماذا (أدهم صبرى) هذا إلى الجحيم .. بل فلتذهبوا جميعاً إلى الجحيم .. انكم تقسون مدينتي ، وتضغوننى في مواقف شديدة الحرج .

اتعقد حاجباً (دار) في صرامة ، وهم يقولوننى ما ، عندما اتبع من جهاز اللاسلكى في سيارة الشرطة صوت يقول :

- هنا رقم (٧٠٦) .. لقد عثرت عليه في شارع (ميلو) .. أريد إمدادات بأقصى سرعة ، قبل أن ..

وانقطع الإرسال بقعة ، مع دوى رصاصة ، فهتف (دار) في انفعال :

- ماذا تنتظرون ؟ .. أسرعوا إلى شارع (ميلو) .

قالها ، وهو يثب داخل سيارة الشرطة ، فلحق به رجاله فيها ، وانطلقوا بها مباشرة ، و (يوناسيو) يصرخ في غضب واستنكار :

- ماذا تفعلون ؟ .. إنها سيارتنا ، وليس من حقكم أن تفتلوا بها هذا .

لم يلتفت إليه أحد ، وهم ينطلقون بالسيارة ، فصاح في حق :

- أنا أستحق هذا .. أنا أستحق هذا .

في نفس اللحظة ، التي نطق فيها بعبارة ، كان (أدهم) ينطلق نحو شارع (ميلو) بأقصى سرعته ،

إحداهما فوق الإفريز ، وارتطمت بجدار مبنى مجاور ، في حين ملأت الثانية على نحو بشع ، ثم انقلبت على جانبها ، وراحت تزحف لعدة أمتار ، قبل أن تتوقف عند الجانب الآخر للطريق ..

ولم ينتظر (أدهم) ليرى كل هذا ..

لقد تفادى التقنية ، وانحرف بسرعة في أول شارع جانبي صادله ، مستغلاً تلك الاضطراب العنيف ، الذى سببه الانفجار ، ودار بمساره كله . ليعود أراجاه إلى حيث ترك (يانيل) ..

أما (يوناسيو) ، فقد أصابه هلع عنيف ، وراح يصرخ كالمجنون :

- أخرجونى من هنا .. أخرجونى من هذه السيارة اللعينة ، قبل أن تفجر .

كان رجاله جميعاً مصابين ، من جراء ما حدث ، إلا أنهم مدوا له يد العون ، وانتشلوه من السيارة المقلوبة ، في نفس اللحظة التى خرج فيها (دار) من السيارة الأخرى ، وهو يسب ساخطاً ، ويقول :

- يا للشيطان ! .. كنت أحلم أن أدخل (أدهم صبرى) اللعبة ، سيجعل الأمور كلها تتعقد في شدة .

صاح (يوناسيو) ؟

ولم يكد يبلغه ، حتى وقع بصره على رجل الشرطة ، وهو يصوب مسدسه إلى (يائيل) ، فاستلح مسدسه بسرعة بيسراه ، وأطلق رصاصة كتمح البرق ، فأطاحت بمسدس الشرطة ، الذي تراجع مذعوراً ، وتناثرت الكلمات في حلقه ، فالتفت عليه (يائيل) هاتفاً ، وهو يكيل له كلمة قوية :

- أيها الوغد .
سقط الشرطة أرضاً ، في نفس اللحظة التي ألقى فيها (آدم) سيارته إلى جوار (يائيل) ، قاتلاً :
- أسرع يا رجل .. لابد أن نبتعد بأقصى سرعة .
الحلى (يائيل) يختلف مسدس الشرطة ، وهو يقول في حسيبة :

- ليس قبل أن نقتل هذا الشرطة الحثير .. لقد أصابني بجرح شديد .

صاح به (آدم) في غضب :
- أقسم أن أقتلك لو أظنت .. هل نصبت مشاعرك يا رجل ، فرحت تطلق النار على العزل الفلاني الوعي ؟
قلز (يائيل) داخل السيارة ، وهو يقول في حدة :
- بل أنت المرهف الحس أيها المصري ، حتى أنه لودعثنى أن تكتسب هذه السمعة الضخمة ، بكل مشاعرك الرقيقة .

اتطلق (آدم) بالسيارة ، قاتلاً في صرامة :
- مضاعف الرقبة هذه لا تمنعني من كسر عكلك بلا تردد ، لو اتضنى الأمر ، ولكن كرامتي لا تسمح لي بقتل العزل ، حتى ولو كانوا في كامل وعيهم .

عط (يائيل) شففيه ، قاتلاً في استنكار :
- كيف يفكر محترف ، بهذا الأسلوب السفيف ؟
هم (آدم) بقول شيء ما ، لولا أن ظهرت سيارة (دار) فجأة ، في مواجهة سيارته ، وهتف (دار) داخلها في الفعّال :

- ها هوذا .. أطلقوا النار .. انفجروها بلا رحمة .
التترع (آدم) مسدسه في سرعة ، ولكن الرصاصات التهمت عليه كالمنطر ، قبل أن يطلق منه رصاصة واحدة ، وأصابته إهداها المسدس ، فأطاحت به بعيداً ، في حين اختارت الرصاصات الأخرى جسم السيارة وزجاجها الأمامي ، وكاد بعضها يستقر في جسده ، لولا أن سال في سرعة ، فاختارت الرصاصات مقعده فحسب ..

وبحركة سريعة ، دار (آدم) بالسيارة ، هاتفاً :
- لقدنا المسدس أيضاً .. بالروعة !.. هذا يجعل المطاردة أكثر إثارة .
دفع (يائيل) نصف جسده خارج نافذة السيارة ، وهو يصيح :

٧ - المصيدة ..

(كراكن) .. الثاني عشر من يوليو ..

الواحدة والنصف صباحاً ..

ارتفع بوق سيارة الإسعاف ، وهي تشق طريقها عبر شوارع (كراكن) ، قبل أن تتوقف أمام البناية ، التي يقيم فيها شيور (كاجيني) ، الذي وقف أمام شقته يبعي ويولول ، ويهتف :

- وازوجتي المسكينة .. لقد أصابتها التوبة ، وتحتاج إلى إسعاف عاجل .

تطلع إليه جيرانه في إشفاق وتعاطف ، وابنه (الكهراق) برّبت على كتفيه مهنكاً ، وهو يقول بكياً :

- اطمئن يا أبي .. اطمئن .. لقد وصلت سيارة الإسعاف ، وسيتم نقلها إلى المستشفى على الفور .

حمل المصد رجل الإسعاف إلى المكان في تلك اللحظات ، لصاح بهما (كاجيني) :

- أسرعاً .. أسرعاً .. إنها تعاني كثيراً .

- دعنا نحولها إلى جحيم بالتسبة لهم .
قلها ، وأطلق رصاصات مسدسه في غضب ، فأصاب أحد رجال (الموسك) في مقتل ، وهشم زجاج السيارة الأمامي ، قبل أن تنفذ رصاصاته ، فقلز (آدم) في سخرية :

- هذا عيب أولئك الذين يطلقون العنان لمشاعرهم .. لقد خسرت رصاصتك كلها دون تبهير ، وأرجو أن تكون لديك خزنة إضافية

كان ينطلق بأقصى سرعته ، لابتعاد عن رجال (الموسك) ، الذين علوا يقرونه برصاصاتهم ، فلتكمش (يائيل) في مقعده ، وهو يقول :

- كلا للأسف ، لمست أحمل سوى رصاصة واحدة ، من رصاصات بنديتي .. أحتفظ بها لجلب الحظ السعيد .

تحرف (آدم) في شارع جتبي ، وهو يقول ساعراً :

- وهل جلبته لك ، أم ..
بتر سيارته بقعة ، واتخذ حاجباه في أشدة ، وهو يتطلع إلى نهاية الطريق ..

لقد أخطأ باختياره هذا الشارع الجانبى بالتحديد ..
فنهائيه مسدودة بحداد ضخم ..
مسدودة تماماً .

اغتفى رجلا الإسعاف داخل الشقة بضع دقائق ، ثم برزا وهما يحملان محفة ، رقت عليها منوردا (كاجيني) بشعرها الأشيب ، ومنظارها الطبي السميك ، وهي تتأوه في ضبط ، واتدفع خلفها ابنها (ألبراتو) ، هاتفا :
- ابق أنت هنا يا أبى .. سأصحبها إلى المستشفى ، وأبقى معها حتى تتجاوز ألمتها .. اطمئن .

هبط المصعد بالجيب إلى أسفل ، ونفع للرجلان المحطة داخل سيارة الإسعاف ، وبنف خلفها (ألبراتو) ، وانطلقت سيارة الإسعاف ، فابتسم (ألبراتو) ، وانتزع الشارب المستعار عن وجهه ، وقال :
- انتهى الأمر .. يمكنك الاسترخاء الآن .

اعتذلت (نينا) ، وانتزعت عن رأسها الشعر الأشيب المستعار ، وهي تزفر قائلة :
- رياه .. كنت أوت فرضا .. تصورت أنهم سيكشلون أمرنا منذ اللحظة الأولى .

أجابها الملحق العسكري مبتسما :
- كل شيء تمت دراسته بمنتهى الدقة .. اطمئنى .
زفرت مرة أخرى ، قبل أن تسأله :
- هل تنقلنا الإسعاف إلى حيث نستقل الزورق إلى (ترنداد) ؟

١٠٠

هز رأسه نفيا ، وهو يقول :

- كلا .. الإسعاف سيتجاوز بنا منطقة الحصار لحسب ، ويهدأ سنستقل سيارة أخرى إلى ميناء ميجور . حيث ينتظرنا الزورق البخارى ، الذى سينقلنا إلى جزيرة (ترنداد) .

صمتت لحظات ، ثم سأله في تور :

- وماذا عن (يائيل) ؟

تطلع إليها الملحق العسكري لحظة ، قبل أن يجيب :
- لا داعى للقلق على (يائيل) ياسينتى ، فعالية لأنه (سبحانه وتعالى) وضعته تحت رعاية واحد من أفضل وأقوى رجال المخابرات فى العالم .. اطمئنى .

نطقها فى ثقة شديدة ، على الرغم من أن قلبه كان يلقي التساؤل نفسه فى قلق ..

ترى ما الذى يواجهه (آدم) و (يائيل) الآن ؟!

كيف يسير بهما الأمر ؟

كيف ؟!

★ ★ ★

ضبط (آدم) فرامل سيارته فى قوة ، عندما فاجأه ذلك الجدار الضخم ، الذى يصد نهاية الطريق ، ودار بها نصف دورة ، لتتوقف بعرض الطريق ، وهو يقول لنفسه :

١٠١

- تعبيراً عن عواطفى المتنبهة .

رأى (شيمون دار) السيارة تندفع نحوه ، والنيوان مشتعلة فى خزان وقودها ، و (آدم) يقفز منها ، أصرخ فى رجائه :

- إنه فح .. ابتعدوا أيها الأغبياء .

أدار سائق السيارة عجلة القيادة فى صف ، وانصرف بحركة حادة ، محاولاً تفادى (البورش) ، ولكن تحركته لم تكن بالبراعة الكافية ، فلم تتجاوز مسار (البورش) تماماً ، وهنك (دار) فى حق :
- أيها النقى .

ووثب خارج السيارة ، وألقى جسده أرضاً ، فى نفس اللحظة التى ارتطمت فيها (البورش) بالسيارة الأخرى ، وانفجرت بدوى خفيف أيقظ المنطقة كلها ..

وبينما يحدث هذا ، أسرع (آدم) إلى (يائيل) ، الذى هتف متوتراً :

- وماذا بعد ؟! ما زلنا داخل المصيدة !

أزله (آدم) فى حزم ، وأخرج من جيبه سلخاً نفيرا ، راح يعالج به رتاج المتجر ، الذى يستند إليه (يائيل) ، فى نفس الوقت الذى هب فيه (دار) ولقأ ، وصاح :

- اللعنة !.. اقلعوا .. اقلعوا الآن .

١٠٢

أخطأت هذه المرة يا (آدم) .

أما (يائيل) ، فهتفت فى ارتياح .

- ماذا نفعل ؟! الطريق مسدود ، وليس معنا سلاح واحد ، ندافع به عن أنفسنا .. لقد وقعنا فى المصيدة .

أدار (آدم) السيارة ، لتواجه مدخل الطريق ، وهو يقول فى حزم :

- ليس بعد .. اتبعنى .

قالها ، ووثب خارج السيارة ، وانتزع غطاء خزان وقودها ، فى نفس اللحظة التى ظهرت فيها سيارة (دار) ورجاله ، وقد لحقت بها سيارة أخرى ، فأخرج (آدم) منديلته ، وسمه فى خزان الوقود ، ثم التقط ثقاباً ، وحك قمته بسطح السيارة ، فاشتعل بسرعة ، وأشعل به المنديل ، هاتفا :

- ابتعد بأقصى سرعة .

انطلق (يائيل) وهو مبتعداً ، نحو بعض المتاجر المغلقة ، فى نهاية الشارع المسدود ، فى حين قفز (آدم) داخل السيارة ، وضغط دباسة وقودها ، وهو يدفع عصا السرعة إلى وضع الحركة ، قتللاً :

- هذه هديتى لك يا (دار) .

ووثب خارج السيارة ، مستطرداً فى سخرية :

١٠٢

توقفت الميمنة الأخرى ، وتجاهل ركابها زملاءهم ،
الذى يحترقون داخل السيارة الأولى ، ورفعوا فوهات
أسلحتهم نحو (أدهم) و (يائيل) ..
وانطلقت الرصاصات في الطريق المسدود ..
انطلقت في نفس اللحظة ، التي عالج فيها (أدهم)
الرتاج ، وفتح الباب ، ودفع (يائيل) داخل المكان ، ثم
وثب خلفه ، والرصاصات تضرب الباب في عنف ، قبل أن
يخلفه (أدهم) من الداخل ، فهتف (يائيل) :

« رهاه .. ! إنها ورشة نجارة »

أغلق (أدهم) الباب من الداخل في إحكام ، بواسطة
رتاج معدني قوي ، ووقع أقدام (دار) ورجاله يقترب
من المكان ، وصوته يصرخ في ثورة :

« اتحجموا المكان ، وأطلقوا النار عليهما ، حتى يصيرا
أشبه بمصفاتين من كثرة الثقوب . »

انهالت الرصاصات على الباب كال مطر ، فهتف (يائيل)
موتراً :

« أمن الممكن أن يصمد هذا الباب طويلاً ؟ »

تلفت (أدهم) حوله ، مضغاً :

« ليس أكثر من دقائق خمس ، على أقصى تقدير . »

لم يكذ يثم عبارته ، حتى ارتفع صوت (دار) من
الخارج ، يصرخ :

١٠٤

« لا فائدة .. لقد وقعنا في المصيدة هذه المرة .. أعلم
أنه لم يعد لدينا سلاح .
وقيته ضاحكاً في عصبية ، قبل أن يضيق :

« ولا أمل . »

عضن (يائيل) شفثته في غيظ ، في حين عقد (أدهم)
حاجبيه ، مضغاً :

« يا للوعد ! »

ثم التفت إلى (يائيل) ، مستطرداً :

« أعطني رصاصتك . »

تطلع إليه (يائيل) في دهشة ، مضغاً :

« رصاصتي ؟ ! »

أجاب (أدهم) في صرامة :

« نعم . الرصاصة التي تجلب لك الحظ . »

نس (يائيل) يده في جيبه ، وناولته الرصاصة . وهو
يسأله في توتر :

« وماذا يمكنك أن تفعل برصاصة بدون مسمم ؟ »

التقط (أدهم) الرصاصة ، وهو يقول :

« سترى . »

كانت الرصاصات تواصل انهمارها على الباب ، عندما
جنب (أدهم) المنضدة كبيرة ، مثبت بها متجلة كبيرة .

١٠٥

« أيها الأوغاد »

وطوح المنشار في وجوههم ، فاتحتى (دار) متفادياً
إياه ، في حين أصابت الضربة عني أحد رجليه ، فصرخ
ألماً ، وهو يسقط أرضاً ، والدماء تنزف من عنقه في
قوة ..

وبسرة دهشة ، اتعنى (أدهم) يلتقط أحد المسممات ،
واعتمد يظلي رصاصته نحو الممس ، الذى يمسك به
الرجل الثاني ، فأطاح به على الفور ، في نفس اللحظة
التي ارتفع فيها نوى أبواق سيارات الشرطة ، التي تقترب
بسرعة ، فصرخ (دار) :

« لن نفلت ، حتى ولو أطلقنا النار علينا جميعاً ،
أو ... »

هوى (أدهم) على فكه بكلمة كالقنبلة ، وهو يقاطعه
قائلاً :

« أنت لا تساوى ثمن رصاصة . »

سقط (دار) فالحق الوعى ، في حين تراجع الرجل
المتبقى ، ثم انطلق وهو مبتعداً ، فاتعنى (يائيل) يلتقط
مسمماً بدوره ، ويصوره إليه ، قائلاً :

« لن تبعد كثيراً أيها الوغد . »

كانت سيابته تنحصر الزناد ، لولا أن دفع (أدهم)
يده إلى أسفل ، وهو يقول في صرامة :

١٠٧

وضع الرصاصة بين ضلعتيها ، وثبتها بأقصى قوة ،
تارناً جزءاً من غلالها الخلفى حراً ، ثم وضع المنجلة
في مواجهة الباب تماماً ، والتقط مطرقة ومسماراً ، ووضع
الطرف الحاد للمسمار في منتصف دائرة الإشعال ، في
قاعدة الرصاصة ، وهو يقول لـ (يائيل) :

« التقط منشراً يدوياً .. سنقاتل حتى آخر قطرة دم . »

لم يكذ يثم عبارته ، حتى انهز رتاج الباب ، وانفتح
المكان ثلاثة من رجال (دار) ..

وضرب (أدهم) المسمار بالمطرقة ..

واشتعل البارود اللائخى في مطروف الرصاصة ..

وانطلقت ..

وبحلت مفاجأة مذهلة للرجال ، الذين اتحجموا المكان
وكلهم نكة ، في أن (أدهم) و (يائيل) لا يمكنان سلاحاً ،
فبدأ برصاصة تطلق نحوهم ، وتخترق صدر أدهم ،
الذى أطلق شهقة ألم ودهشة ، وتراجع في عنف ، في
نفس اللحظة التي ألقي فيها (أدهم) المطرقة بكل قوته ،
لتصيب رأس الرجل الثاني ، وتلقيه أرضاً ، ونفع المنضدة
كلها لتترطم بالثالث ، وتدفعه أمامها في قوة ..

ووثب (يائيل) نحو (دار) ، والرجلين اللذين يقرب
من فريقه ، وهو يصرخ :

١٠٦

- لا داعي لهذا .

التفت إليه (يانيل) في دهشة ، وهتف مستكبرا :

- هل ستتركه يفلت ؟

أجابه (أدم) بنفس الصرامة :

- نعم ..

وأشار إلى نافذة صغيرة في أعلى الورشة ، مستطردا :

- ثم إنه لا وقت لدينا لهذا .. منفرّج عبر هذه النافذة .
قبل أن تصل قوات الشرطة .. هيا .

نمنّ (يانيل) مسدسة في حزامه ، وهو يقول محتقا :

- لن يمكنني فهمك أبداً .

تجاهله (أدم) تاملًا ، وهو يحمل سلمًا خشبيًا ،
ويمسده إلى جدار الورشة ..

وبينما كانا يتجاوزان النافذة الصغيرة ، إلى شارع
خلفي ضيق ، كانت سيارات الشرطة تعبر مدخل الشارع
المسدود ، وتتوقّف أمام ورشة التجارة ، ويهبط كبير
المفتشين (بوتاسيو) من إحدىها ، وهو يلجر عينيه
فيما حوله في ذهول ، هاتفا :

- رياه .. ماذا حدث ؟! .. أمي متجنبة ؟

أسرع أدم رجال الشرطة يفحص (دار) ورجاله ،
قبل أن يجيب :

١٠٩



كانت سبّاحة تصير الرناد ، لولا أن دفع (أدم) يده إلى أسفل ..

وقد وضعت على رأسها شعرا أشقر مستعار ، واحتفظت
بثوب ومنظار سنويّرا (كاجيتي) ، واشتعل التلق في
أعماقها أكثر وأكثر ، وهي تفكر في (يانيل) ، الذي
يقاّتل بدوره للفرار من (فنزويلا) ، قبل أن يطبق عليه
الإسرائيليون ، ووجدت نفسها تقول فجأة نون تككير :

- الصحافة !

التفت إليها الملحق العسكري متمسلا ، فاستطردت
في مزيج من التوتّر والحماص :

- لماذا لم تحاولوا نقل الأمر إلى الصحافة ؟! .. يمكنكم
عقد مؤتمر صحفي ، وشرح الأمر كله ، ولئن استطع
أحد أن يتحدث الصحافة ، عندما تفرحون لها المفااتي
كلها .

أجابها في هدوء :

- اتقصدن مثملا فعل السيناتور (ستاسي) ؟

اتعهد حاجياها في توتر ، وهي تقول :

- لن يمكنهم اغتيال (يانيل) ، وسط حشد من الصحفيين .
ليشتم في شيء من السخرية ، وهو يجيب :

- لو فكّ سألت (يانيل) نفسه ، لأخبرك أنهم يستطيعون
اغتياله ونسف حشد الصحفيين كله ، دون أن يظرف لهم
جفن .

١١١

- كُلا يا سيدي .. كلهم مصابون ، ولكن أحدهم لم
يلق مصرعه .

ارتفع حاجبا (بوتاسيو) في دهشة ، قبل أن يضمم :

- عجباً ؟!

وصمت لحظة ، ثم أدار عينيه في المكان مرة أخرى ،
قائلا :

- استدعوا سيارات الإسعاف إذن ، فهذه الليلة تبدو
وكلها لن تنتهي أبداً

ثم توقفت عيناه عند النافذة المفتوحة ، وأشار إليها ،
مستطردا في عصبية :

- لد قرأ من هنا .. الرجلان اللذان نسعى خلفهما قرأ
من تلك النافذة .. أسرعوا خلفهما ، ولا تسمحوا لهما
بالهرب أبداً ..

وصرخ في ثورة :

- هل تفهمون ؟! .. أبدا

وتواصلت المطرقة من جديد

راح التوتّر يتصاعد في أعصاب (نينا) بشدة ، وهي
داخل تلك السيارة ، التي يقودها الملحق العسكري إلى
ذلك الميناء المهجور ، حيث ينتظرهما الزورقي البخاري ،

١١٠

قالت فى حدة :

- ليمس إلى هذا الحد .. من الواضح أنك لا تتقن الصحافة حتى قدرها .

أجاب صارما :

- بل أنت التى تجهلين قواعد عالم المخابرات تماما ، ولا يمكنك امتتاع (الموساد) ووسائله .. إتهم لن يلتزموا بأية قواعد أو أعرف أو مبادئ ، فى سبيل إسكات (ياكوب) ، ومنعه من كشف أسرارهم .

عقنت ساعديها أمام صدرها فى عناد ، وهى تقول :
- ما زلت أصبر على أن الصحافة يمكنها أن تفعل شيئا .

رأها تشيح بوجهها ، وكأنها تعلن عدم استعدادها لغرض المزيد من التقاتل حول هذا الأمر ، لحط شفتيه ، وهز رأسه مضمغا :

- يا للعناد !

ولأن بالصمت بدوره ، حتى بلغت للسيارة ذلك الميناء المهجور ، فقال لها الملحق العسكرى فى حزم :
- انتظري هنا يا سينتى ، ولا تقادري للسيارة حتى أعود إليك .

١١٢

- هذا أفضل .. إتهم ينتظرونها على آخر من الجمر فى (ترنداك) .

ابتسم الملحق العسكرى ، مضمغا :
- اطمئن .

ثم عاد أراجعه إلى السيارة ، وفتح بابها ، قائلا :
- هيا يا سينتى .. الطريق آمن ، و ...

بئر عبارته بفته ، واعتد حاجباه فى شدة ، قبل أن يهتف :

- رياه !.. أين ذهبت ؟

انطلق يبحث عنها فى الجوار ، فى توتر شديد ، ولكن النتيجة كانت واضحة ..

لقد اختفت (نينا شيريدان) ..
اختفت تماما .

★ ★ ★



١١٤

أومأت برأسها إيجابا ، دون أن تنبس ببنت شفة ، لحمل مسدسه ، وتحرك نحو مصيف الميناء فى حذر ، ورأى الزورق لحظات ، قبل أن يطلق من بين شفتيه صوتا خاصا ، أشبه بصوت البومة (*) ، فاعتدل قائد الزورق البخارى ، وأطلق صوتا مائلا ، جعل الملحق العسكرى يفكر مكنه ، ويقول بالعربية :

- صبح الخير يا رجل .. أأجد لديك مشروبا يناسب نزلات البرد ؟

أجابته الرجل بنفس اللغة فى هدوء :

- بالطبع .. لو أن الينسون يصلح لهذا ،

ابتسم الملحق العسكرى فى ارتياح ، بعد أن تبادل كلمات المر مع قائد الزورق ، الذى سأله فى اهتمام :

- هل أحضرت المسافرة ؟

أجابته الملحق العسكرى :

- نعم .. إنها فى السيارة .. سأحضرها على الفور .

غمغم قائد الزورق :

(*) اليوم : طيور ليلية جارحة ، منتشرة فى معظم أرجاء العالم ، تشبه الصقور ، ولكن منقرها مقوفة . ومخالبها طويلة حادة ، وعيونها مكنة للإبصار فى الظلام ، تكفرس القوارض والحشرات ، وهى رمز للحكمة عند الأوروبيين ، ونذير شوم بالنسبة للمصريين .

١١٣

٨- أنياب الخطر ..

(كراكس) .. الثانى عشر من يونيو ..

الثالثة صباحا ..

اعتقدت سحب الامتحان فوق رأس المفتش (بارديو) ، وهو يجلس فى شرفة منزله ، يخن سيجارة تلو الأخرى فى شراهة ، وذنه شارده تماما ، حتى تسلى إلى أنفذه صوت زوجته ، وهى تسأله فى رفق وتلق :

- أما زلت مستيقظا ؟

التفت إليها ، وهو يطفئ سيجارته ، مضمغا :

- لم أستطع النوم .

جثت مقعدا ، وجلست إلى جواره ، قائلة فى حنان :

- ما الذى يقلقك ؟

تهد فى توتر ملحوظ ، وهو يشعل سيجارة أخرى ، قائلا :

- كل ما يحدث بئر فى نفسى القلق .. شىء ما لا يسير على ما يرام الليلة .. بل منذ اختلوا السيناتور (ستيسى) .. الأسلوب اللجج ، الذى يتعامل به (بوناسيو) ، وأولئك

١١٥

لغرياء ، الذين يسمح لهم بالتحرك وسط قواتنا ، كما لو أنهم يلقوننا بسطة ، وطريقهم في مطاردة ، أفراد مجهولين .. ألا يكفي هذا الجوابني اليوم ؟
قالت في قلبي :

- ولكنك لا تمك ما تفعله ، إزاء ما يحدث .

اتخذ حاجباه في شدة ، وهو يرند :

- لا أملك ما أفعله .. ربما .

ثم هب واقفا بحركة مباغتة ، مستطردا في حزم :
- وربما لا .

وأطلقا سيارته في عنف ، ولامحه كلها تنطق بالعزم والصرامة ، أسأته زوجته ، وقلبا يرتجف قلعا وتوترا :
- ماذا تنوي أن تفعل ؟

التفتي حاجباه مرة أخرى ، وهو يجيب :

- ما ينبغي أن يفعله أي رجل شرطة شريف .

والتقط مسدسه ، وسمه في حزامه ، وهو يقارب المنزل ، فهتفت به :

- إلى أين ؟! إنها الثالثة صباحا .

ولكنه غابر المنزل ، دون أن يجيب بكلمة واحدة ..
لقد قرر أن يتحكم ما يحدث أيّا كان ..

وبلا هوادة ..

★ ★ ★

قلز (أدهم) يعتلي سور فيلا صغيرة ، على مسافة مائتي متر من ورشة التجارة ، ثم مذ يده يلتقط (يابل) ، ويساعده على الصعود ، فتأوله هذا الأخير في ألم ، وهو يعتلي السور بورد ، مما جعل (أدهم) يسأله :

- هل تشعر بالثعب ؟

أجاب (يابل) لا هنا :

- جرح فخذي يتزف بشدة .

التفتي (أدهم) يمزق جزءا من سرواله ، واتخذ حاجباه في شدة ، وهو يتطلع إلى ضمادات الفخذ ، التي أغرقتها الدماء ، وقال :

- لن يمكنك الاستمرار على هذا النحو .. لو فقدت المزيد من الدماء ستفقد وعيك ، ولن يعود بإمكانك الاستمرار .

قال (يابل) في ألم :

- ولكنهم يواصلون مطرئتنا .

أدار (أدهم) عينيه فيما حوله ، وقال :

- أيّا كان ما يفعلونه ، لن يمكنك الاستمرار .. أنت تحتاج إلى الراحة حتما .

حاول (يابل) أن يتسم في إرهاب ، وهو يفهم :

- وكيف يمكن للحصول عليها ، في ظروف كهذه ؟

- ربا ..! إنهم لم يتركوا الفيلا بلا حراسة .

استدار (أدهم) إلى مصدر الصوت في سرعة ، واتخذ حاجباه في شدة ، وهو يتطلع إلى كلب ضخم ، من طراز كلب للرعاة الألماني ، المعروف بالسكرة السوداء (*) أطلق زجرة ثدية ، برزت خلالها أنيابه للحادثة القوية ، و .. وانقض .

انقض على (أدهم صبرى) ..

★ ★ ★

انقض جمد (شيمون دار) في عنف ، وهو يستعيد وعيه بقعة ، واعتك فوق محطة رجال الإسعاف ، هاتفا :

- أين هو ؟

ارتفعت حولجب الجميع في دهشة ، وقال أحد رجال الإسعاف ، محاولا إعادته إلى المحطة :

- سيدي .. المفروض أن ..

قاطعه (دار) في حدة وصرامة ، وهو يهبط عن المحطة :

- لا شأن لك بي .. ابتعد .. ابتعد .. أزيّن جيبهتك برصاصة في منتصفها .

(*) يعرف في (مصر) باسم الوبف (Black jacket)

حمله (أدهم) على كتفه بحركة مباغتة ، وهو يقول :
- دعنا نحاول .

وقبل أن يترض (يابل) ، كان (أدهم) يثب به داخل حديقة الفيلا ، ويحبرها عدوا ، حتى بلغ بابها ، فهتف (يابل) في عصبية ، وبصوت خافت خائف :

- هتفم .. والآن ماذا تنوي أن تفعل ؟! هل تطرق الباب ، وتطلب من أصحاب الفيلا السماح لنا بالدخول ؟
أجاب (أدهم) ، وهو ينزله إلى جوار الباب :

- لا يوجد أحد هنا .

تطلع إليه (يابل) في دهشة ، وهو يقول :

- لا تنكر لي إنها أيضا واحد من منازلكم الآمنة ؟

هز (أدهم) رأسه نفيًا ، والتفتي يعالج رتاج الباب في مهارة وحكمة ، قائلا :

- كلا .. إنها ليست كذلك ، ولكنها إما أن تكون خالية ،

أو تكون سكانها من الأموات ، فمع انفجار (البورش) ، والرصاصات التي شقت سكوت الليل ، على مسافة مائتي متر ، كان ينبغي أن يستيقظ أدهم على الأكل ، وتضاء نافذة واحدة كحد أبني ، أو ..

قاطعه زجرة مباغتة من خلفه ، امتزجت بشهقة (يابل) ، وهو يهتف :

قالتها ، وهو يبحث عن مسدسه فى جيب سترته . ثم
استطرد فى غضب ، عندما لم يعثر عليه :
- أين مسدس ؟

أسرع إليه (بوتاسيو) ، وهو يقول فى حدة وعصبية :
- اصمت يا رجل .. اصمت بالله عليك .. ستفقد حياتى
كلها بما تفعله .

تجاهل (دار) قوله .. وهو يقول محتداً :
- ذلك الشيطان فرّ منا بأعجوبة .. دعنا نلحق به ،
قبل أن يبتعد كثيراً .

لوّح (بوتاسيو) بيده ، قائلاً :
- رجالى يطردونه .. اضمن .. ولكن لخفض صوتك
بالله عليك .. الجميع يتساءلون عن الصفة التى تتمتع
بها ، والتى تبيح لك التصرف على هذا النحو .

قال (دار) فى غضب :
- لا تلق بالآلام .. إننا نستطيع شراء الجميع بأى
ثمن ، المهم أن نظهر بذلك للشيطان المصرى وبرجلنا
المنشق .

ولوّح بيده ، مستطرداً ، فى عصبية :
- والآن أعطنى مسدساً .. أى مسدس .. أشعر وكأننى
عار تماماً بدون مسدس .

١٢٠

وفى لحظة واحدة ، تحوّلت زمجرة الكلب الوحشية
إلى تباح مدعور ، قبل أن يضرب الهواء بمخالبه ، فى
محاولة لمقاومة خصمه ، الذى حطم كل ما اخترته فى
ذاكرته عن قدرات البشر ويرود ألعالم .
ولكن محاولاته لم تذهب كلها هباءً ..

لقد نجحت مخالبه فى تمزيق جزء من سترة (أدم)
وقبضه ، قبل أن يضم هذا الأخير قبضته ، ويهوى بها
على مؤخرة عنق الكلب بكلمة قوية ، أطلق لها كلب
الحراسة القوى عواءً محدوداً ، قبل أن يتراخى جسده
تماماً ..

وفى رفق ، وضع (أدم) الكلب أرضاً . وهو يشتم :
- أنت أجبرتنى على هذا .

ثم استدار لتلتقى عيناه بعيني (باتيل) ، الذى يحثى
فيه بدهشة وانبهار ، وهو يقول :
- كيف فعلت هذا ؟

تطّلع إليه (أدم) فى صمت ، دون أن يجيب سؤاله ،
ثم عاد ويطلق رتاج باب الفيل فى اهتمام ، و (باتيل) يتابع
مبهوراً :

- إننى لم أشاهد فى حياتى كلها شخصاً يتحرك بهذه
السرعة ..! لقد عاجلت الموقف على نحو لم أعهده قط ..
لقد ..

١٢٢

ناولته (بوتاسيو) مسدساً ، وهو يقول :
- خذ .. إنه يخص أحد رجالك .. والآن اتركنا نواصل
مطاردتنا للرجلين .

أسكت (دار) التمسك فى قوة ، وقال :
- بل قلّ إننا سنسعى بها خلفهما يا رجل .. لن أتوك
فرصة لقتلها تفلت من يدي قط .

قالتها ، وكل خلجة من خلجاته تصرخ بالغضب ..
وبالشعر ..

★ ★ ★

تقتصّ كلب الرعاة الألمانى على (أدم) ، بكل قوته
وشراسته ، وهو يطلق زمجرة مخيفة ، وأنيا به تضرب
الهواء ، والزيد يسيل من شدقيه ، فى مشهد رهيب
مخيف ، كفيل بتعطيم أعصاب أقوى وأشجع الرجال ..
ولكن ليس (أدم صبرى) ..

لقد تحرك بسرعة مذهلة ، تلوّكت على سرعة انقضاض
الكلب ، فمال جاتياً ، متفانياً ، انقضاضته ، ودار حول
نفسه ، ثم أحاط عنق الكلب بذراعه القوانية ..

وكانت مفاجأة مذهلة لكلب الحراسة القوى ، عندما
تعلّق جسده فى الهواء ، ونزاع (أدم) للقوانية تعصر
عنقه ..

١٢١

قاطعه (أدم) فى صرامة :
- كفى .

كان يحتاج إلى منتهى الهدوء والتركيز ، لمعالجة ذلك
الرتاج الخاص ، ولقد تعامل معه بمهارة مذهلة ، ثم لم
يلبث أن توقّف بقطة ، فسأله (باتيل) فى قلق :
- ماذا حدث ؟

أشار (أدم) إلى الرتاج ، قائلاً :
- إنه متصل بجهاز إنذار خلص ، يبلغ الشرطة عند
محاولة اقتحام المنزل .

سأله (باتيل) ، وقد تضاعف قلقه :
- وماذا نعمل معه ؟

ارتصت على شفقتى (أدم) ابتسامة يائسة ، وهو
يجيب .

- نتجاوزه .
لم يكن لجوابه معنى خاص ، مما جعل (باتيل) يتطلّع
إليه فى حيرة متسائلة ، لم تلبث أن تضاعفت عشر

مرات على الأقل ، عندما وثب (أدم) متعلقاً بحاجز
الباب ، ثم اتقى جسده فى مرونة ، وفقر ليمسك إفريز
التأفذة ، ومنه إلى حاجز الشرفة الطوية ..

كان يتحرك كلاعب سيرك محترف ، حتى أن عيني
(باتيل) اتسعتا فى البهار ، وهو يحثى فيما يحدث ،

١٢٣

حتى بلغ (أدم) للشرقة ، وراح يحالج رتلجها بسرعة ،
قبل أن يفتحها ، ويختل داخل المنزل ، ويغلها خلفه ..
ومضت لحظات من الصمت والستون ، قبل أن يفتح
(أدم) الباب ، قائلا :

.. هيا .. لقد أولقت جهاز الإنذار .

نهض (يائيل) في ألم ، ودفع جسده داخل الفيلا
دلفا ، ثم ألقاء فوق أول أريكة صالته ، وهو يقول :

.. يبدو أنك كنت على حق .. لم يكن باستطاعتي
الاستمرار .. بهذه الجروح .

كان يتحدث في ضعف واضح ، فلهضى (أدم) بفحص
جرح فخذه ، وهو يقول :

.. إنك تحتاج إلى تغيير الضادات وتطهير الجرح .
ثم تطلع إلى عينيته المسبنتين ، مستطرذا :

.. وإلى قليل من النوم .
استرخى (يائيل) ، وهو يضم :

.. كم أتمنى هذا .. هل تعلم ؟! العمدن الذي حصلت
عليه كان خائيا من الرصاصات .. ياله من حظ .

تركه (أدم) يسترخى فوق الأريكة ، وراح يحل
الضادات في سرعة ، ثم التفت واحدة من زجاجات
الخمر من البار ، وهو يقول ساخرا :

١٢٤

.. يبدو أننا وجنا فائدة واحدة للخمر على الأقل .
قالها ، وهو يصب بعض محتويات الزجاجاة على الجرح ،
فتأوه (يائيل) في ألم ، وهتف بصوت خافت :

.. رويك يارجل .. إنها تؤلم بشدة .
أجابته (أدم) في حزم :

.. ولكن نسبة الكحول فيها تساعد على تطهير الجرح (*) .
حاول (يائيل) أن يبتسم في إرهاب ، وهو يقول :

.. وتمتع العقل .
مط (أدم) شفتيه ، وهو يلتقط منشفة نظيفة ،

ويضمد بها الجرح ، قائلا :

.. بل قد تذهب بالعقل ، فعندما يمتزج الكحول بالدم ،
يفقد الإنسان قدرته على التركيز ، وعلى التحكم في أفعاله
المنعكسة ، وتضبط ردود أفعاله ، كما تنهض أعصابه ،
ويصير ضيفا بلا حكمة أو عقل (**).

(*) الكحول : مركب عضوي يتربط جزيؤه من الكربون
والهيدروجين والأكسجين ، ويشتمل على مجموعة أو أكثر من
مجموعات الهيدروكسيل ككحول (ميثيل) ، وكحول (إيثيل) ،
وكحولات ثنائية وثلاثية ، وتختلف الكمالات في خواصها
الفيزيائية والكيميائية ، كما تختلف بين سائل وجوهر ، وذلك في
درجات الحرارة العادية .
(**) حقيقة .

١٢٥

.. لا يوجد مكان قوي الشبهات .. أنت لا تعرف الرجل
الذي تطارده .. إنه شيطان .. هل تفهم ؟! شيطان .
صاح (بوناسيو) :

.. حتى ولو كان ملك الشياطين نفسه .. لا يمكننا التهام
هذه الفيلا أبداً .

سأله (دار) في غضب :

.. ولماذا ؟؟
أجابته (بوناسيو) غاضبا ، وهو يشير إلى الفيلا :

.. لأنها ملك السنيور (راكويل) .. إمبراطور الصناعة
والاقتصاد في (فنزويلا) .. أول فيلا بناها في حياته ،
وهو يعتز بها للغاية .

قال (دار) في حدة :

.. هذا واضح .. يعتز بها إلى الحد الذي يتركها فيه
بلا حراسة .

قال (بوناسيو) في عصبية :

.. الفيلا لا تحوى ما يفرى للصوم ، ثم إنه هناك
كذب حراسة قوي في حديثها ، يقوم منسق الزهور
برعيته طوال النهار ، ويتركه لحراسة الفيلا في الليل ،
ولجميع هنا يعرفون قصة ذلك اللص ، الذي حاول دخول
الفيلا ، فمزقه ذلك الكلب لربا .. وهناك أيضا جهاز إنذار
متطور ، و ...

١٢٧

تطلع إليه (يائيل) لحظة ، ثم سأله :

.. أنت لا تشرب الخمر قط .. أليس كذلك ؟
هز (أدم) رأسه نفيا ، وهو يجيب :

.. لست أحمق لأفعل .. هل تعلم أن بالهي الخمر أنفسهم
لا يشربونها قط ؟

ضحك (يائيل) ، وهو يقول :

.. نعم .. أعلم هذا .
كان يرغب بشدة في الاسترخاء ، فأسبل جفنيه ،
وحاول أن يفتح عينه بالنوم ، و ...

وفجأة ، ارتفع صوت سيارات الشرطة ، وهي تتوقف
أمام الفيلا ..

وكان هذا يعني أن الخطر قد عاد ..
وبشدة ..

★ ★ ★

استن (دار) مسخسه ، وهو يغادر سيارته ، أمام
الفيلا مباشرة ، ولوح به في صرامة ، قائلا :

.. فيلا خاصة .. آه .. مكان مثالي للاختباء .
أشار إليه (بوناسيو) ، وهو يقول في عصبية :

.. رويك يارجل .. هذه الفيلا بلذات فوق الشبهات .
اتخذ حاجبا (دار) ، وهو يقول محتذا :

١٢٦

قاطعه (دار) في صرامة :

— وأين هذا الكلب ؟

تطلع (يوناسيو) عبر قضبان البوابة ، ووقع بصره على الكلب الضخم ، وهو يستعد وهيه ، ويهز رأسه في يده ، فقال :

— ها هوذا .. هل يمكنك أن تخاطر بالتسلل إلى الفيل ، في وجود كلب ضخم كهذا ؟

اتعد حاجبا (دار) في شدة ، وهو يتطلع إلى الكلب ، الذي استعد وعيه ليجد عشرات الرجال والأضواء أمام البوابة ، مما أثار عصبية وتوتره ، فاندفع نحوها ، وهو ينجح في وحشية وشراسة ، ولتسم (يوناسيو) في عصبية ، قائلا :

— أرايت ؟

رمى (دار) الكلب بنظرة سريعة متوترة ، ثم أدار عينيه إلى الفيل المظلمة لحظات ، قبل أن يقول :

— فليكن .. هيا بنا نواصل المطاردة .

عاد الجميع إلى سياراتهم ، وأشار (يوناسيو) إلى رجاله ، قائلا :

— أنتم إلى الطريق الرئيسي ، أما أنت وأنت ، فاتجها إلى الميناء ، والقوا القبض على كل من تشبهون فيه

١٢٨

هناك ، واطلبوا من حراس الحدود والسواحل تمديد قبضتهم أكثر ، ومضاعفة الدوريات والتفتيش والمراقبة .

انطلقت السيارات كلها ، وبقيت سيارة واحدة تضم (دار) و (يوناسيو) ، وثلاثة من رجال الشرطة ، وأشعل الأول سيجارته ، وهو يقول :

— ماذا يحدث يا (يوناسيو) ؟ .. ألا يستطيع رجالك كلهم إلقاء القبض على رجلين ، أحدهما مصاب بعدة رصاصات ؟

أجاب (يوناسيو) في توتر شديد :

— إننا نبتل قصارى جهنم ، وأنت لا تدرى ما الذي ألغته من أجلكم .. لقد أشعلت حربا في المدينة كلها ، لمعاونتكم على إنهاء صليبتكم السخيفة .

نفث (دار) دخان سيجارته ، قائلا :

— أعتقد أننا ندفع ثمنا مقاسيا لهذا .

احتقن وجه (يوناسيو) ، وهو يقول :

— وبم يفيد هذا الثمن ، لو ثارت ثائرة الحكم ، وطلب تقريراً رسمياً عما يحدث هنا ؟

أجاب (دار) في صرامة :

— لا تلتق بشأن الحاكم .. أترك أمره لنا .

تراجع (يوناسيو) كالمصعوق ، وهتف :

— ماذا ؟ .. هل تضي أن ...

١٢٩

١٢٨ — ١٢٩ — ١٣٠

قاطعه (دار) في صرامة :

— لمست أعنى شيئا .. هيا نواصل مطاردة الرجلين ، قريباً ..

كان يلوذ بيده في الهواء ، عندما تجمعت في موضعها بقعة ، وهو يبتدر عبارته ، ويحدث في نقطة ما عند السور ، قبل أن يندفع نحوها ، ويتحسسها ، بأصابعه ، متحمسا في توتر :

— ترى هل ..

لم يتم عبارته ، فسأله (يوناسيو) في توتر :

— ما هذا بالضبط ؟

التفت إليه (دار) في انفعال ، قائلا :

— دم .. دم طازج على السور يا رجل .

ثم استل منضمه بسرعة ، وأشار إلى الفيل ، مستظرفا :

— إذهب هنا .. كنت أعلم أنهما هنا .

وصاح في رجال الشرطة الثلاثة :

— هيا يا رجال .. سنقتحم المكان .

هتف (يوناسيو) :

— منبهور (دار) .. لنا أهنرك ..

ولكنه لم يتم عبارته ..

١٣٠

لقد ابتلعها مع رصاصة أطلقتها (دار) نحو كفل بوابة الفيل ..

ومع تحطم القفل ، زمر الكلب ، وتراجع مستعدا لالتقاطها ، ولكن (دار) أطلق رصاصة أخرى على رأسه ، قائلا :

— ابتعد أيها الكلب الحقيق .

سقط الكلب الضخم صريحا ، أمام عيني (يوناسيو) المذعورتين ، و (دار) يضيف في صرامة وانفعال :

— هيا يا (يوناسيو) .. مر رجالك بالهجوم ..

ومن خلف ستار التلغزة ، رأى (أدم) و (ويل) سيارة الشرطة تلتهم حديقة الفيل ، ويهبط منها ثلاثة رجال مسلحون ، يتقدمهم (دار) و (يوناسيو) ، والجميع يتجهون نحو الفيل ، لبدء جولة جديدة ..

جولة قاتلة .

★ ★ ★

١٣١

٩- الاتجاه المباشر ..

تاؤه (نون جولهي) في ألم ، وهو يستعيد رعيه ،
وشعر بارتجاج واضح ، وهو يفتح عينيه ، ويحس في
وجه الشخص الذي يجلس إلى جواره ، والذي كان في
برود صارم :

- أخيراً ، استعنت رعيك .

حنق (جولهي) فيما حوله في دهشة ، وهو يعتدل
جالساً ، فلم يكن داخل مستشفى ، أو حتى سيارة إسعاف ،
وإنما كان يرقد داخل سيارة مراقبة خاصة (*) . وأمامه
رجل المخابرات الأمريكي (رونالد جير) ، يتطلع إليه في
صرامة ، وحوله عدد من الرجال ، أمام أجهزة السيارة ،
فهو رأسه ، وقال في توتر :

(*) سيارة المراقبة الخاصة : سيارة مجهزة بأجهزة رصد
وتتصت ، وشبكة هاتف دولية ، وأجهزة كمبيوتر ، ومتصلة بالأمم
الصناعية مباشرة ، بحيث تصبح لديه بوحدة مراقبة متحركة ، وهي
بتكامل أمريكي ، يستخدمها عادة رجال المباحث للبرقية ، أو رجال
المخابرات الأمريكيين ، في بعض العمليات المعقدة .

١٣٣



ومع تحطم القفل ، زجر الكلب ، وتراجع مسعاً للانقضاض ،

ولكن (جير) أطلق رصاصة أخرى على رأسه ..

- ماذا حدث يا مستر (جير) ؟.. ما الذي أتى بي إلى

هنا ؟

أجاب (جير) في صرامة :

- غياؤك .

انتفض (جولهي) في توتر ، وقال :

- مستر (جير) .. لن أسمع لك به ..

قاطعه الأمريكي في صرامة :

- اصمت .

ثم تراجع في مقعده ، ولوح بيده في حدة ، مستظرفاً :

- ماذا أصابكم هذه المرة ؟! لقد أدبتم العمل المطلوب

منكم في نجاح ، واغتكم (ستاسي) .. لماذا تفرقون كل

هذه الضجة إذن ؟

تحسّن (جولهي) موضع إصابته ، وهو يجيب :

- الرجل الذي قام بالمصاوبة خلتنا ، واتصل بالمصريين .

وطالب حق اللجوء السياسي في (مصر) .

اعتقد حاجبا (جير) في شدة ، وهو يقول :

- اللجوء السياسي ؟!

ثم مال نحو (جولهي) ، مستظرفاً :

- أن هذا تطاريونه بهذه التراسة ؟!

أوما (جولهي) برأسه لإيجاباً ، وهو يقول :

- أو أنكم في موضعاً لقطم المثل .

تراجع (جير) في مقعده ، وقال :

- بل لو أننا في موضعكم ، لما استغرق منا الأمر

أكثر من ساعات معدودة .

أجاب (جولهي) في حدة :

- هذا ما يصوره لكم غروركهم ، ولكنك لا تعلم أن

المصريين أرسلوا لقوى وأخطر رجالهم لإحضار (يائيل) .

ثم مال نحوه ، وأضاف في لهجة ذات مغزى خاص :

- (أدهم صبري) .

اعتقد حاجبا (جير) في شدة ، عندما سمع الاسم .

ولدت منه حركة عصبية واضحة ، قبل أن يقول من خلف

أسنانه في قسوة :

- (أدهم صبري) ؟! آه .. إذن فالعصريون يضعون

إحضار (يائيل) على قمة أفعالهم .

وصيت لحظت ، ولامحه عليها تنطق بالغضب والثورة ،

قبل أن يعتدل ، قاتلاً في حزم :

- فليكن .. تناول قحاً من القهوة المرغزة يا (جولهي) .

ورتب أفكارك جيداً ، فستصن على كل ما تعرفه عن هذا

الأمر ، وبلقي التفاصيل .

سأله (جولهي) في حذر :

١٣٥

١٣٤

- هل تتوى المخلول فى اللعبة ؟
أوما (جير) برأسه إيجابيا ، وضاعت عيناه فى شدة ،
وهو يذبح :
- نعم يا (جولوى) .. سندس اللعبة على مسئوليتى
الخاصة ، ولكن ..
وأشار إلى ما يحيط به من أجهزة ، مستطردا :
- على الطريقة الأمريكية .
قالها ، وعينه تأنقان فى شدة ..
وفى قسوة ..
* * *

« إتهم يتجهون إلى هنا مباشرة .. »
نطق (يائيل) العبارة فى توتر شديد ، وهو يراقب
الرجال ، الذين يقتربون من المنزل فى حذر ، فأشار
إليه (أدم) بالصمت ، وهو يراقب المشهد بدوره ،
ويستمع إلى (دار) ، الذى قال لرجال الشرطة :
- فلينجبه اثنان منكم إلى المخرج الخلفى .. اطلقا النار
بلا تردد على كل من يتحرك ، أو يحاول الخروج منه .
أسرع اثنان من رجال للشرطة إلى المخرج الخلفى ،
فى حين اتجه (دار) و (بوناسيو) والشرطى الثالث
إلى الباب الرئيسى ، و (بوناسيو) يقول :

١٣٧

١٣٦

- إنها حركة تصويه .
وأعقب كعته بثانية كالصاعقة ، ألقت كبير المفتشين
أرضا فاقد الوعي ، وهو يستطرد :
- نجحت فى خداعك كفى ساذج .
استدار إليه الشرطى فى توتر شديد ، ليطلق عليه
نار ، فى نفس اللحظة التى هرع فيها الشرطيان الآخران
من خلف القبلا ، لمؤخرة زميلهما ، فوثب (أدم) جاثيا ،
متفاديا الرصاصة ، ثم قبض على معصم الشرطى ، وهو
يقول :
- خسرت فرصتك يا رجل .

ثم دار على عقيقه ، حتى أصبح ظهره يواجه الشرطى ،
وهوى على معته بمرافقه ، فشهق الشرطى فى ألم ، فى
حين قبضت يده (أدم) على يده الممسكة بالمسدس ،
ولماها فى سرعة ومهارة ، وضغطتاد ممسك الشرطى ،
لتنتقل منه رصاصتان ، أصحبت كل منهما بممسك أحد
الشرطيين ، قبل أن يدور (أدم) حول نفسه ، ويكتم
الشرطى فى فقه ، ويسقطه فاقد للوعي ..

ترجع الشرطيان فى ارتواح ، عندما فقدوا مسنبيهما ،
ثم انتبها فجأة إلى أن (أدم) لا يصوب إليهما سلاحا ،
فانقضوا عليه فى شراسة ، وأحدهما يهتف بزميله .

١٣٩

أشار إليه (أدم) ، قائلا فى صرامة :
- اصمت .
ثم تحرك فى سرعة ، وانتزع سلكى جهاز الإنذار ،
ثم أوصلهما برتاج الباب فى مهارة - و (يائيل) يناهيه
ببصره ، ويسأله متوترا :
- ما المفروض أن يفعله هذا ؟
تجاهله (أدم) تماما ، وهو يلتقط مقعدا صغيرا ،
ويتأهب متحفزا ..
وفى نفس اللحظة ، دفع (دار) رتاج الباب ، وهو
يقول :

- استعدا .. سنقتحم المكان ، و ...
قالها ، وهو يدير الرتاج ، ثم انتفض جسده فى حلف ،
عندما تسببت إدارته فى توصيل سلكى جهاز الإنذار ، الذين
نقلوا التيار إلى الرتاج نفسه ، فصعقه ، وألقاه بعيدا ، فى
نفس اللحظة التى انطلق فيها الإنذار نفسه ..
وبكل قوته ، ألقى (أدم) المقعد نحو النافذة ،
فلتخرقها بدوى خفيف ، لتكتم نحوه (بوناسيو) والشرطى ،
مع فوهتى مسنبيهما ، وأطلقا النار ..
وفى اللحظة التالية مباشرة ، كان (أدم) يقتحم النافذة
الثنية ، على الجانب الآخر للباب ، ويهربها إلى الحديقة ،
ثم يهوى على فك (بوناسيو) بكلمة كالقنبلة ، قائلا :

١٣٨

— هاجمه من اليمين ، وسألتني عليه من اليسار ،
و...
أخرسه (أدم) بكلمة قوية ، هزمت أنفه ، واثنين
في أسنانه ، ثم وثب في الهواء ، ودار حول نفسه في
مهارة ، ليرى الثاني في فكه ، ويطلق به قائد الوعي ،
قبل أن يهتف في (يائيل) :

— أسرع يا رجل .. ستمتولى على سيارتهم .
يذل (يائيل) قصارى جهده ، ليعود إلى جواره ، حتى
سيارة الشرطة ، وهو يقول في توتر :
— لماذا لم تطلق عليهم النار مباشرة ، بدلاً من هذا
الأسلوب المصعد ؟
أجابته (أدم) ، وهو ينطلق بالمسيارة :
— لم أجد داعياً لقتلهم .
هتف (يائيل) في دهشة مستكزاة :
— لم تجد داعياً لماذا ؟ .. متى يكون هناك داع في
رأيك ؟

أجابته (أدم) في صرامة :
— عندما لا تكون هناك وسيلة أخرى .
حكى فيه (يائيل) لحظة ، قبل أن يهز رأسه ، مضطرباً :
— كنت أعلم أنه من الصبر أن أفهمك .

قال (أدم) في حزم :
— هذا أمر طبيعي ، أخصص مثلك ، اعتاد إراقة الدماء
طوال عمره ، دون أن يظرف له جفن ، إن يمكنه استيعاب
موقف كهذا أبداً .

عقد (يائيل) حاجبيه ، وهو يقول :
— يدهشني أن يقول محترف مثلك هذا .
ابتسم (أدم) في سخرية ، وهو يقول :
— المفروض ألا يدهشك أي شيء في عالمنا .
تنهد (يائيل) ، قللاً :

— هذا صحيح ، وبالأدات بعدما حدث من رفاتي السابقين .
ران عليهما الصمت لحظات ، بعد هذه العبارة ، وتناهى
إلى مسامعهما دوى أبواق سيارات الشرطة ، التي تندفع
إلى الفيلا ، فاتصرف (أدم) يميناً ، وتجاوز شارعاً
فرعياً ، قبل أن يواصل انطلاقه في شارع موال للشارع
الرئيسي ، في نفس اللحظة التي احتل فيها (يائيل) ،
وسلته بقتة :

— ما خطة فرارنا بالضبط ؟
صمت (أدم) لحظة ، قبل أن يقول في صرامة :
— لماذا تريد أن تعرف ؟
أجابته في عصبية :

— المشكلة أنني ما نمت قد توصلت إلى هذا ، فهم
سيقتلونك إليه حتماً ، وسيصبح هذا الاتجاه المباشر
بالغ الخطورة .

ثم يكذب بتم عبارته ، حتى ارتفع صوت (يوناسكو) ،
عبر جهاز اللاسلكي في السيارة ، وهو يقول في عصبية :
— إلى جميع السيارات .. إلى جميع السيارات .. المطاردان
نحيا في الاستيلاء على واحدة من سياراتنا .. السيارة
رقم (١٠٠٦) .. حددوا اتجاهها ، وتعاملوا معها على
الفور .. الرجال مسلحان وبالحظ الخطورة ... أطلقوا
عليهما النار على الفور ، أو اتسفوا السيارة نفسها ،
لو اقتضى الأمر .

عقد (يائيل) حاجبيه في شدة ، في حين قال (أدم)
ساخراً :

— حقهم .. لقد أهدر كثير المقتولين معنا ، وسوطارنا
الآن كل رجل شرطة في (كراس) .

غمغم (يائيل) متوتراً :
— وكل رجال (الموساد) .

هز (أدم) كتفيه دون تعليق ، وهو ينطلق بالسيارة ،
وكانه لا يلقى بالأمر ، فاستطرد (يائيل) في عصبية :
— ألا يخيك كل هذا ؟

— أليس هذا من حق ؟ .. لقد أخبرت (نون) تفاصيل
خط سيرها ، على الرغم من أنها ليست إحدى العمليات
في جهاز المخابرات ، فكيف تكتم حتى خط سيرنا ؟
صمت (أدم) لحظة أخرى ، ثم أجاب :
— لدون أسبابي .

التقى حلجها (يائيل) في غضب ، وأشاح بوجهه بضغ
لحظات ، وهو يتابع الطريق ، ثم قال بقتة :
— يؤسفني أنك لست نكياً كما تعتقد .

قال (أدم) في هدوء :
— حقاً ؟

استدار إليه (يائيل) ، وهو يقول في حدة :
— نعم . حتى أنا يمكنني استنتاج وجهتها ببساطة ،
فمتى غادرنا السيارة ، ولت تنطلق دفعا باتجاه القرب ..
أراهمك أن وسيلة هروبنا تنقلنا عند خليج (فنزويلا) ..
أليس كذلك ؟

ارتسمت ابتسامة باهتة على شفطي (أدم) ، وهو
يقول :

— يا للبرعة !
قال (يائيل) في حدة :

لقد (يأبى) وعيه على الفور ، من شدة الكدمة ، فى حين
نضام (أدم) للمصباحين القويين للسيارة ، وهو يقول :
- هيا أيها الشرطى .. أطلق قذيفتك .
يهر الضوء القوي عيون رجال الشرطة فى السيارتين ،
إلا أن حامل المدفع المضاد للدبابات أغلق عينيه قليلاً ،
وصوب مدفعه إلى المسافة بين المصباحين ..
وأطلقه ..

وفى هذه المرة أصابت القذيفة هدفها ..
وانفجرت السيارة ..
وكان أخف انفجار شهنته (كراس) فى تلك الليلة ..
أغفلها على الإطلاق .

★ ★ ★



١٤٥

قال (أدم) فى هدوء :
- وما الذى ينبغى أن أفعله ؟.. هل أرتجف هلعاً ؟
أجاب (يائيل) فى حدة :
- أبداً شيئاً من الاهتمام فحسب .
ابتسم (أدم) فى سخرية ، وهو يقول :
- سأبذل قصارى جهدى .
التقى حاجبا (يائيل) فى شدة ، حتى كاداً يمتزجان ..
وهو يقول مجتهداً :
- كم يدهشنى أنك تتصور علينا دائماً . وأنتك ..
تعتقد حاجبا (أدم) بشدة ، وهو يقول فى صرامة
مباغطة :
- اصمت .

انتبه (يائيل) فى هذه اللحظة فقط ، إلى سيارتى
الشرطة اللتين اعترضتا الطريق عند نهائيته ، ووقف
أمامهما شرطى ضخيم ، يحمل على كتفه ذلك المدفع المضاد
للدبابات ، ويصوبه إلى سيارتهما ، فهتف :
- سيطلق القذيفة نحونا .. احترس .. ابتعد بسرعة ..
بسرعة .
هوى (أدم) على فكه بكلمة مباغطة ، قائلاً فى
صرامة :
- ابتعد أنت .

١٤٤

- وماذا عنك يا سيادة الحاكم ؟!.. ألم تطلب توضيحاً
للموقف ؟!.. ألم تلق سؤالاً واحداً ، عن هؤلاء الأجانب ،
الذين يشتركون مع رجال الشرطة فى مطاردة عنيفة ،
هى السبب فى كل ما يحدث ؟!
سأله الحاكم فى حذر متوتر :
- الأجانب ؟!.. أى أجانب ؟
كان (باردو) يذوق الدوران حول الحقيقة التى يعتمها
جيداً ، لذا فقد أدهشه هو نفسه أن أجاب فى وضوح ،
وبانفراج سبق لسانه فيه عقده :
- الإسرائيليون .

وكان من الواضح أن الحاكم لم يكن يتوقع قط مثل
هذا الجواب المبتسر ، فقد شحب وجهه ، وارتجفت أظفاره ،
واتسعت عيناه عن آخرها ، قبل أن يتمم مرتبكا :
- الإسرائيليون ؟!.. وما شأنهم بنا ؟
عند (باردو) مبادئه أمام صدره ، وهو يسأل :
- حسن .. ما الذى تتسوى أن تقوله الآن يا سيدي
الحاكم ؟

ضج الحاكم بنفورة صامتة طويلة ، ثم تنحج قائلاً :
- كل ما ينبغى أيها المفتش .. كل ما ينبغى .
ثم تنحج مرة أخرى ، ووضع يده على كتف المفتش ،
وهو يقوده إلى الباب ، مستطرداً :

١٤٧

١. - خدعة محترف ..

(كراس) .. الثانى حضر من يوانو ..
الرابعة صلباً ..

التعد حاجبا حاكم (كراس) ، وهو يعدد حزام مصطفه
المنزلى ، ويلف إلى حجرة مكتبه ، فهض المفتش (باردو)
والفا ، والحاكم يقول فى غضب :
- أنتعرف كم الساعة الآن أيها المفتش ؟! . أمل أن
يكون ما لديك من الأهمية ، بحيث يستحق إيقاى فى
الرابعة صلباً .

أجاب (باردو) فى ضيق :
- إنه يدهشنى فى الواقع أن تستغرق فى النوم يا سيدي
الحاكم ، فى الوقت الذى لم يفض فيه جفن ثلاثة أرباع
سكان (كراس) ، مع تلك الحرب للشعواء ، المشتعلة فى
شوارعها .

نوح الحاكم بيده ، وهو يقول فى حدة :
- هذا الأمر يخص كبير المفتشين ورئيس الشرطة .
قال (باردو) فى توتر :

١٤٦

.. إننى أشكرك أمثلك وإخلاصك أيتها المفتش ، والواقع
لنا حاجة إلى أمثالك ؛ لتسهر بالأمن والأمان فى وطننا ..
أشكرك كثيرا .

تطلع إليه (بارو) لحظات بنظرة خاوية ، قبل أن يسأل :
.. أهنأك ما يمكننى فعله ؟
لوح الحاكم بيده ، وحاول أن يتسم ، وهو يقول :
.. كلا يا رجل .. إنك مرهق ، وتحتاج إلى نوم عتيق ..
عد إلى منزلك ، وستنولى نحن الأمر ، اعتبارا من هذه
اللحظة .

ثم ربت على كتفه ، مستطردا بحماس مصطنع :
.. وثقى بأننى سأوصى بترقيتك .
رمقه (بارو) بنظرة صامتة ، ثم قال :
.. فليكن يا سيادة الحاكم .. لقد أنيت ولجس .
ربت الحاكم على كتفه مرة أخرى ، قائلا :
.. بالطبع .. بالطبع يا رجل .

ولم يكد (بارو) ينصرف ، حتى انعقد حلجبا للحاكم ،
وضرب سطح مكتبه بقبضته ، هاتف فى حق :
.. الأغبياء .. لقد تملأوا فى تملأهم ، حتى أفسدوا كل
شئ ..
ثم التقط هاتفه ، وطلب رقم رئيس الشرطة ، ولم يكد
يسمع صوته ، على الجانب الآخر ، حتى قال فى عصبية :

١٤٨

.. إنه أنا .. الحاكم أيتها السقيف .. نعم .. أعرف كم
الساعة الآن ، ولكن الأمر لا يمكن تأجيله .. هيا .. نهض
من فراشه ، واراد ثيابه ، وانطلق على الفور إلى حيث
هؤلاء الأجانب الحمقى . وأخبرهم ان اتفاقا معهم لاغ .
وأهم تملأوا كثيرا ، وإن نكملون معهم بعد الآن .. نعم ..
لو أرادوا أن يوصلوا ، فليواصلوا وحدهم ، دون مستد
قانونى .. هذا كل ما يمكننا أن نفعله .
قالها ، وأنهى المحادثة فى عطف ، فى نفس اللحظة
التي أدار فيها المفتش (بارو) محرك سيارته ، وهو
يقول لنفسه :

.. أعتقد أننى لم أكن مبالغا . عندما نسبت جهال التتصت
الصغير فى هاتف الحاكم .. رباه .. القضية أضخم مما
كنت أتصور .. أضخم بكثير .
ثم انطلق بسيارته ، مستطردا :

.. وهذا يعنى أن هذه الليلة لن تنتهى بسهولة .
قالها وهو يعتقد فى أعماقه أن الأمر قد لا يقتصر
على ألا تنتهى هذه الليلة الطويلة فى سهولة ، بل قد
يمتد إلى أنها لن تنتهى ..
لن تنتهى أبدا ..

★ ★ ★

١٤٩

قال (دار) فى حذر :

.. أيعنى هذا شيئا محددا ؟

أجابه (جير) فى لا مهالة :

.. نعم .. يعنى الكثير .

ثم أدار عينيه فيما حوله ، قبل أن يضيف :

.. وسيعاونا الكمبيوتر على تحديد المواقف كله .

قالها ، واستدار عائدا لمباراة المراقبة ، فأسك (دار)

فراع (جوليهى) ، وسأله فى توتر عصبى :

.. من أين أتيت به ؟

أجابه (جوليهى) متنهذا :

.. هو الذى أتى بى

ثم أضف ، وهو يزيح أصابع (دار) .

.. المهم أن نستفيد بما لديه من إمكانيات .

واتجه نحو سيارة المراقبة ، ففتح (دار) ، ثم لمق

به بدوره ..

وفى السيارة ، كان (جير) يجلس أمام جهاز الكمبيوتر ،

ويضيف إليه المعلومات الأخيرة ، فسأله (دار) :

.. أنت تعتقد أنه لم يبق مصرعه .. أليس كذلك ؟

أجابه (جير) ، دون أن يلتفت إليه :

.. بل أنا والذى من هذا .. لقد استخدم الضوء الساطع

ليظهر للشرطى ، ويمنعه من رؤيته . وهو يقفز من السيارة

١٥١

توقفت سيارة المراقبة الأمريكية ، على مسافة عشرة
أمتار من سيارة الشرطة . التي كان يستقلها (آدم)
و (باتل) ، والتي تحطمت تماما ، وتحوطت إلى كتلة من
القمم ، وهبط (جير) بصحبة (جوليهى) من سيارة المراقبة ،
واتجه إلى حيث يقف (دار) و (بوناسيو) ، فاستقبلهما
الأخير فى عصبية ، قائلا :

.. مرهق .. إننى فالأمريكيون أيضا قرروا غوض القضية ..

يا لمعلمتى .. هذا يعنى أن كل ما مررتا به لم يكن سوى

صت بسيط ، بالنسبة لما ينبغى أن نتوقعه ..

تجاهله (جير) بأملوب مستفز ، وهو يسأل (دار) :

.. ماذا حدث ؟

أشار (دار) إلى السيارة المحترقة ، قائلا :

.. ما تراه أملك .

لكل (جير) نظرة سريفة على حطام السيارة ، ثم

قال فى برود :

.. كيف ؟

روى له (دار) كل ما سمعه من الشرطى ، الذى

أطلق القنبلة المضادة للنهابات على السيارة ، ثم ضاقت

عنه ، وهو يقول فى لهجة أقرب إلى الصخرية :

.. إننى فقد استخدم (آدم) الضوء الساطع ، قبل الانفجار

مباشرة .

١٥٠

مع (يائيل) ، ولقد أطلق ذلك القبي قبيلته نحو السيارة ،
وتسلفها ، دون أن يدري أنهما هربا منها ، واختلجا بين
النباتات .

هاتف (دار) :

.. كنت أعلم هذا .. كنت أعلم هذا .

التفت إليه (جير) ، يسأله في سخرية :

.. وماذا فعلت ، عندما علمت هذا ؟

قال (دار) في حدة :

.. سألتك المنطقة كلها شبرا شبرا ، و ...

قلطعه صوت (يوناسيو) ، وهو يقول في عصبية :

.. لميت اعتقد هذا ممكنا الآن يا سادة .. لقد جاء رئيس

الشرطة إلى هنا الآن ، وألقى أمرا واحدا صارما ، ثم

انصرف دون أن يمنحنا فرصة لمناقشته .

وتصاعدت عصبية ، وهو يضيف :

.. لقد أمر بعدم التعاون معكم بعد هذه اللحظة بصورة

واضحة ، فقد استفزتمنا جميعكم ، وأصبح الأمر بالغ

الخطورة .

صاح (دار) في وجهه غاضبا :

.. ولكنكم تقاضيتم جميعا ثمن هذا .

احتقن وجه (يوناسيو) بشدة ، وهو يقول :

١٥٢

.. ربما كان هذا هو السبب .

ثم تراجع في حدة ، وصاح في رجاله :

.. هيا يا رجال .. سنصرف جميعا من هنا .. ارفعوا

حطام السيارة .. لقد انتهت العملية ، ولقى الهاربين

مصرعهما رسميا .. هيا .

قال (دار) في غضب :

.. الأوغاد !.. لقد تغلوا عنا .

مطّ (جير) شفطيه ، وهو يقول :

.. غياوك هو الذي يلعبهم إلى هذا .

التفت إليه (دار) ، قائلا في حدة :

.. مستر (جير) . صمّح أن جهاز مخابراتنا يتعاون

مع جهاز مخابراتكم ، ولكن هذا لا يمنحنا الحق في ...

قاطعه (جير) في برود ، وكأنه لم يسمع عبارته :

.. لقد تصورت أن ما تكلفه لهم حكومتك من رشاش ،

تمنحك حق التحكم فيهم ، والتماهي معهم إلى حد يجرهم

ويضعهم أمام شعبيهم ، في موقف شديد الحساسية ..

المفروض أن تترك أن هذا هو أسوأ ما يمكنك أن تكلفه ..

أن تبرأ التعاون في وضوح ، ومشكلتك أنك لم تمتلك

خبرة كافية في مثل هذه الأمور .. كنت مجرد قتل معترف

سابق ، في فرقة الاختيالات في (الموسد) ، احتكت أن

تتعامل مباشرة ، دون محاورات أو مناورات .

١٥٣

التفت إليه (جير) مبتسما ، وهو يسأله :

.. هل استنتجت هذا بالفعل ؟

هزّ (دار) كتفيه ، مجيبا :

.. بالطبع .. كل الدلائل كانت تشير إلى هذا ، و ...

قاطعه (جير) بصرامة مباغتة :

.. والكمبيوتر يقول : إن هذا الاستنتاج ساذج للغاية .

اتخذ حاجبا (دار) في توتر ، و (جير) يتابع :

.. ويؤكد أيضا أنها خدعة مدروسة من (أدهم صبري) ،

ليقود تفكيركم جميعا إلى الشرق ، في حين يخطط هو فعليا

للاتطلي إلى الغرب .

ثم أشار إلى خريطة ، ارتسمت على شاشة الكمبيوتر ،

مستطردا في حزم :

.. إلى (كوماتا) .

اعتكت جواب الجميع ، وهم يتطلعون إلى تلك البقعة

على الشاشة ، وسؤال واحد يملأ عقولهم ..

هل أصاب الكمبيوتر في استنتاجه هذه المرة ؟؟ ..

هل ؟؟ ..

★ ★ ★

انتفض (يائيل) في فراشه ، وفتح عينيه بفتة ، وراح

يحكن في المكان الذي يرقد فيه بدهشة بالغة ..

١٥٥

قال (دار) في سخرية عصبية :

.. لمحننا خبرتك أنت أيها العجائز .

ابتسم (جير) في سخرية ، ولوح بكفه ، قائلا :

.. هذا ما أتوى فطه يا عزيزي .

ثم انتهى على جهاز الكمبيوتر ، مستطردا :

.. لقد خذت هذا الجهاز بكل ما حدث الليلة .. كل المواقع

والأحداث والتفاصيل ، ثم أضفت إليه برنامجا من مكتبتنا

الخاصة ، وضمناه لدراسة وتحليل شخصية وأسلوب

وعمليات رجل المخابرات المصري (أدهم صبري) ،

وللتنبؤ بخطواته القادمة ، في كل عملية جديدة ، ونسبة

خطأ لا تتجاوز الواحد في الألف .

غمغم (جولهي) في ارتياح :

.. هذه هي التكنولوجيا الأمريكية التي نعرفها .

عقد (دار) حاجبيه ، دون أن ينس ببت شفة ، في

حين ابتسم (جير) ، وهو يضغط أزرار الكمبيوتر ، قائلا :

.. ولقد أشار الكمبيوتر إلى أن تحركات (أدهم صبري) ،

في هذه الليلة ، توحي بأنه في طريقه إلى خليج (فنزويلا) .

مطّ (دار) شفطيه ، قائلا :

.. لم يكن الأمر في حاجة إلى كمبيوتر خاص لاستنتاج

هذا .

١٥٤



لقد وقع بصره على (أدهم صبرى) ، الذى يجلس فى صالة المنزل ،
وقد انهمك فى صنع شيء ما ..

كان آخر ما يذكره هو وجوده داخل سيارة . ينطلق
بها (أدهم) نحو التتبع من سيارات الشرطة ، تعترضان
الطريق ، ويخرطى بصوب مضيقاً للسياحات ..
ثم تنتهى ذاكرته بفتة ، عند هذه النقطة ..

كان يشعر بإرهاق شديد ، وبرغبة لا محدودة فى النوم ،
حتى أنه لم يدر كيف استعاد وعيه على هذا النحو ..
ولا كيف وجد نفسه فى هذا المكان ..

لقد استيقظ ليجد نفسه راقدًا فوق فراش وثير ، داخل
حجرة آنيقة ، وقد تم تضميد جرحه بشاش نظيف معقم ،
روضع عليه بعضهم ثوب نوم نظيفاً ..

وفى دهشة ، ألقي نظرة على ساعة يده . التى أشارت
عقاربها إلى الرابعة والربع صباحاً ، ثم غادر فراشه ،
وفتح باب الحجرة ، و ...
واتسعت عيناه فى دهشة ..

لقد وقع بصره على (أدهم صبرى) ، الذى يجلس
فى صالة المنزل ، وقد انهمك فى صنع شيء ما ، بدا له
أنه به يتمثال نصفي لشخص ما ..

وقبل أن يتحلىح أو يصدر عنه أبهى صوت ، التفت
إليه (أدهم) ، وكلمها انتبه إلى وجوده بغرقة فصيب ،
وقال :

١٥٦

سأله فى دهشة :

- وهل صنعت هذا التمثال بنفسك ؟

هو (أدهم) رأسه نفياً ، قبل أن يجيب :

- كلاً .. لقد حصلت على طابعة لوجهك ، لى أنتبه
استغرق فى النوم .

بنت الدهشة على وجهه (يائيل) لحظات ، قبل أن
يقول :

- ولماذا تصنع قناعاً يناسبنى ؟

احتل (أدهم) ، وتطلع إليه لحظة فى صمت ، ثم أجاب :

- سيساعدك هذا على الخروج من هنا .

قال (يائيل) متوتراً :

- عن طريق خليج (فنزويلا) ؟

بنت له ملاح (أدهم) جامدة ، خالية من أى تعبير ،
وهو يقول :

- ربما !

اتخذ حاجبا (يائيل) طويلاً ، قبل أن يقول فى توتر :

- اسمع يا سيد (أدهم) .. أعرف أن طابعة صلب

المخابرات تمنع من شرح تفاصيل القطة لى ، إلا أن
هذا لا يمنعنى من التفكير فى الأمر ، والتوصل إلى بعض
النتائج ، باستنتاجاتى الشخصية .

١٥٩

- هل استيقظت بهذه السرعة ؟! .. كان المفروض أن

تحظى بقدر أكبر من النوم .

اتجه إليه (يائيل) ، وهو يسأله :

- أين نحن بالضبط ؟

أجابه (أدهم) فى بساطة ، وهو يعود عمله :

- فى منزل آمن آخر .

جلس (يائيل) برأيه ، وهو يسأل :

- ماذا حدث بالضبط ؟

أجابه (أدهم) :

- لقد قفزنا من السيارة ، قبل أن تتسبب القنبلة بالاحتلت ،
وحملتك على كتفى إلى هنا .

ارتفع حاجبا (يائيل) فى دهشة ، وهو يقول :

- بهذه السهولة ؟!

أجابه (أدهم) - وهو منهمك فى عمله :

- نعم .. بهذه السهولة .

رأيه (يائيل) يضع لحظات أخرى . قبل أن يهتف

فى دهشة :

- رباه .. هذا التمثال لى .

قال (أدهم) فى هدوء :

- نعم .. إننى أصنع قناعاً يناسب وجهك .

١٥٨

لحلتكن وجه (يائيل) في غضب ، وهم يقول شيء ما ،
عندما ارتفعت تلك منقطة على باب الثقة ، فهب (يائيل)
من مقعده ، هاتفاً :

— من يأتي في مثل هذا الوقت ؟

التفت حاجباً (أدهم) ، وهو يستل منفسه ، قائلاً :

— لست أرى ، ولكن الإشارة صحيحة .

واتجه إلى الباب ، وهو يسأل بصوت يخالف تماماً
صوته الحقيقي :

— من بالباب ؟

أتاه صوت صائوف ، يقول :

— أنا بائع الصحف .. هل قرأت جريدة (الأهرام) مؤخراً ؟

أجاب (أدهم) ، وهو يفتح الباب :

— بالطبع .. أتيا جريدتي المفضلة .

وتنكح حاجبها في شدة ، عندما يلف الملحق العسكري
بسرعة إلى الثقة ، وسأله في توتر :

— كيف وصلت إلى هنا ؟ .. المفروض أن تكون الآن

في (ترنداد) ، مع (نيئا) ؟

أجاب الملحق العسكري في سرعة :

— (نيئا) هربت .

لتستعينا (يائيل) ، وهو يهتف في ارتياح :

١٦٩

١٦٩ — رجال المسجل (١٠٣) الهول

استرخى (أدهم) في مقعده ، وهو يقول :

— وما النتائج التي أوصلتك إليها استنتاجاتك ؟

أجاب (يائيل) في انفعال :

— الدلائل المباشرة تشير إلى أنك تنوي الفرار عن

طريق خليج (فنزويلا) ، إلا أن طبيعتك ، التي درسناها

في (الموسم) ، تؤكد أن هذا مجرد خدعة ، وأنت توحى

بهذا فحسب ، في حين تنوي اتخاذ سبيل مخالف تماماً .

سأله (أدهم) في اهتمام :

— مثل ماذا ؟

مال (يائيل) نحوه ، قائلاً :

— (كوماتا) مثلاً .

هز (أدهم) رأسه ، وهو يقول في هدوء :

— اقتراح مناسب .

تطلع (يائيل) إلى ملامحه الجادة طويلاً ، محاولاً

أن يستشرف منها الجواب ، فلما عجز عن هذا ، قال في

حدة :

— أهدأ طريقنا بالقلع ؟

التفت (أدهم) إلى صمته ثاقبة ، وهو يجيب في

هدوء :

— ربما !

١٦٦

— هربت !؟ .. (نيئا) هربت !؟

أجاب الملحق العسكري مكتوفاً :

— نعم .. لقد وصلنا بسلام إلى الميناء المهجور ، وكان

المفروض أن تستقل الزدبق معاً في (ترنداد) ، ولكنني

عدت إلى السيارة ، فوجدتها قد اختفت ، وأنا أبحت عنها ،

مع عدد من رجالنا ، منذ ذلك الحين وحتى الآن ، وعندما

فحصنا في العتور عليها ، فوجئنا إلى هنا ، طبقاً للأوامر .

انقضت عليه (يائيل) في ثورة ، هاتفاً :

— إذن فقد فقتكم (نيئا) .. فقتكم المرأة الوحيدة التي

أحببتها ، في حياتي كلها .. سوف أقتلك .. سوف أقتلكم

جميعاً .

أصمته (أدهم) في قوة ، وهو يقول :

— مهلاً يا رجل .. لا تغد أعصابك ، فتخسر كل شيء .

قال (يائيل) في عصبية :

— ولتختم فقتوا (نيئا) .. حبيبتي (نيئا) .

صاح فيه (أدهم) في صرامة :

— تماك أعصابك .

التفت إليه (يائيل) في حدة ، وارتجفت شفتاه بضع

لحظات ، قبل أن يخفي عنيه ، ويضم في الثوب :

— إن يغفلني لحسن فقدما أبداً .

١٦٦

١٦٣

أجاب (أدهم) في حزم :

— لقد هربت بإرقتها ، ولم يخطفها أحد .. تماك

أعصابك ، وتستعديها وإن الله .

ثم أشار إلى الملحق العسكري ، مستطرداً :

— اجلس يا رجل ، ونحن نطعن كل شيء .. وبأق

التفاصيل .

وجلس الملحق العسكري ..

وداع يروي ما حدث ..

وبأق التفاصيل ..

★ ★ ★

فرك (جير) عنيه ، وهو يجلس أمام جهاز الكمبيوتر ،

في سيارة المراقبة ، وفتت إلى (دار) و (جولبي) ، قائلاً :

— كل الدلائل تشير إلى أن (أدهم) و (يائيل) لم يغارا

(كراس) بعد .. لقد طلبت من رجالنا مراقبة كل

المدخل والمخارج ، وطرق للمواصلات الرسمية والجنسية ،

والميناء والمطار ، وكلهم أكدوا أن أحداً لم يقارب

لم يغار العاصمة قط ، حتى هذه اللحظة .

قال (دار) في تفعل :

— إذن فهما بالداخل ، ويمكننا لتفريش كل منزل هنا ،

حتى نعثر عليهما .

مط (جير) شفقيه ، وهو يقول :
- ما زلت غيباً .

تعقد حاجبا (دار) في غضب ، وهم يقول شيء ما ،
ولكن (جير) تابع بسرعة :
- ألم تترك يد أن (بنايسور) والحكم ورئيس الشرطة
قد تغفلوا عنكم ؟؟ ..

كيف يمكنكم تفتيش العاصمة كلها دون معلوماتهم ؟
قال (دار) في حدة :

- هؤلاء الأوغاد يستحقون القتل .

أشار (جير) بيده ، قللاً :

- أتلق معك صامتا في هذا الأمر ، ولكننا لا نستطيع
قتلهم ، لذا فعلياً أن نبحث عن حل عسلي ، لإخراج الرجينين
من مكنيهم .

قال (جولهي) في اهتمام :

- وكيف يمكننا هذا ؟

نوح (جير) بيده ، قللاً :

- إننا نبحث عن الوسيلة .

عقد حاجبا (دار) في تعبير صيق ، ثم قال في اهتمام :

- ماذا لو أننا تقاهرنا بالثقل من البحث ؟

رمقه (جير) بنظرة قصيرة ، ثم مال نحوه ، وسأله
في شيء من المفارقة :

١٦٤

- أخبرني يا (دار) .. كيف ألتصمهم بإسناد هذه العملية
إليك ؟

أجاب (جولهي) في سرعة :

- لم ود الأمر كذلك .

انفتحت إليه (سيمون دار) بحركة خفيفة ، قللاً في
حدة :

- ماذا تعني ؟

أجابه (جولهي) في هدوء :

- لقد اسندوا إليك العملية في البداية ، لأنها لم تكن

تتجاوز عتبة اعتبار عادية .. (ياقيل) و (قتل) (ستلمس) .
وأنت تفتله ، وينتهي الأمر .

اعتقد حاجبا (جير) في دهشة ، وهو يقول :

- أهذا ما حدث ؟

احتقن وجه (دار) ، وغلف معنفاً :

- أيها الغبي .. كيف جرؤت ..

قاطعه (جولهي) بصيحة هادرة صرفة :

- اصمت .. لا تتحدث مع رايك بهذا الأسلوب .

ترجع (دار) كالمصعوق ، هائفاً :

- رايك ؟؟

أجابه (جولهي) في صرامة :

١٦٥

أشار إليه بالاصبع ، وهو يستمع مرة أخرى في
اهتمام . وعندها تبرقان في ظفر ، قبل أن يقول :

- بالطبع .. بالطبع .. ستحصل على مكافأة إضافية
سنية .

وانتهى الاتصال ، وهو يقول في حماس :

- أخيراً أيها السادة .

سأله (جولهي) :

- ما الذي حصلنا عليه بالضبط ؟

أشار (جير) بيمينه ، مجيباً في جنل :

- حصلنا على المفتاح اللزوم لنفتح وكر (أدم) و (ياقيل)
يا رجل .

وانفتحت من عينيه ضحكة قافرة ، مع استعراقه .

- المفتاح المثالي .

وانتقلت الضحكة من عينيه إلى شفقيه ..

بل إلى كفاه كله .

★ ★ ★

١٦٧

- نعم .. رايك اعتبرنا من هذه اللحظة يا (سيمون) ..
لقد متحكك الرؤساء فرصة العمل ، قبل أن يطمسوا أن
(أدم صوري) نفسه سيؤول الأمر ، ووجوده يقرب
الأمر كلها رأساً على عقب . فقلت تمتلك الخبرة اللازمة
للتعامل مع رجل مثله .

ابتسم (جير) ، وهو يقول ملغراً :

- ولا مع أي رجل آخر .

رمقه (دار) بنظرة تارية ، وسيطر على أعصابه

التفجرة بكل قوته ، وهو يقول :

- أفين يا (جولهي) .. لا يهم من يقود المهمة ..
المهم أن نلغزها بنجاح في النهاية .

ابتسم (جولهي) في ظفر ، قللاً :

- بالضبط .

هم (جير) يقول شيء ما ، عندما ارتفع أريز جهار
الاتصال بقة ، فاضطرباً صغيراً ، ووضع المسامح على
أذنيه ، واستمع إلى محبته في اهتمام بالغ ، قبل أن
يهتف في انفعال :

- حقاً ؟؟

سأله (دار) في لهفة :

- ما الذي حدث بالضبط ؟

١٦٦

(كرامس) .. الثاني عشر من يوليو ..

الرابعة وأربعون دقيقة صباحاً ..

أرعت (نينا ميريدان) كتابها في عصبية ، وتناحيت في إرهاق ، وهي تجلس في مقر الجريدة السياسية الأولى في المدينة ، واستدارت تسأل محرر الطوارئ في توتر بالغ :

- هل اتصلت بأحد المسؤولين بالفيل ؟

أجابها المحرر في هدوء عجيب :

- لظننى بأسيتى .. لقد اتصلت بنائب رئيس التحرير ، وميصل بعد قليل .. هل تريدان بعض القهوة ؟؟

أولمت برأسها إيجاباً ، مضغمة :

- نعم .. أرجوك .

صباً قشاً من القهوة ، وناولها إياه ، قائلاً :

- لقد أثار الأمر اهتمامهم بشدة ، عندما أخبرتهم أنه

يتعلق باقتيال السيناتور (ستامى) ..

ارتشفت القهوة ، متممة في إرهاق :

١٦٨

- هذا صحيح .

سألها في اهتمام :

- هل تعرفين من أقاتله ؟؟

أولمت برأسها إيجاباً ، وارتشفت رشفة أخرى من القهوة ، قبل أن تجيب في حذر .

- نعم . أعرفه .

تطلع إليها لحظة في صمت . ثم سألها

- وماذا لم تبلغى الشرطة ؟؟

أجابه بنفس الحذر :

- الأمر به تعقيدات كثيرة .

هز رأسه ، قائلاً :

- آه .. فهمت .

ثم عاد يسترخى في مقعده ، ويعدل جفنيه ، متمتماً :

- لقد اعتدت مثل هذه الأمور .

لم يكدهم عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف الداخلي ، فاعتدل ويختطف مساعته في سرعة ، وهو يقول :

- من المتحدث ؟

واستمع إلى محنته في اهتمام ، قبل أن يضيف :

- حسن .. إتنى أفتظرك .

وتنهض من مقعده في مجلس عجيب ، وهو يهيد المساعة إلى موضعها ، فسلكته (نينا) :

١٦٩

١٦٨ - وجل للمصل (١٠٧١) هوف

في نفس اللحظة التي اقتحم فيها رجل أمريكي المكان ، وهتف بها :

- توشقى .

خفق قلبها في عنب ، وزادت من سرعتها ، وأطلق الأمريكي خلفها . وراحا يهوان في الشرفة الخارجية ، وهي تهتف .

- النجدة النجدة أنقذونى .

ثم انحرقت إلى أول منزل صانفها . و...

ووجدت نفسها بين ذراعى أحد رجال أمن الجريدة ..

وفي هلع ، هتفت :

- النجدة . هناك رجل يطاربنى ، و...

بقرت عبارتها ، وانتفض جسدها في هلع وذعر . مع تلك التفترة القاسية الصارمة ، التي أطلقت من عيني رجل الأمن ، فحاولت التملص منه ، صائحة :

- لا . أنت لست رجل أمن حقيقياً .. لست ..

قبل أن تتم عبرتها ، أحاطت يد بفمها من الخلف ، واستشفت رائحة نفذة قوية . و...

وانتهى الأمر ..

انتهى في لحظة واحدة ..

★ ★ ★

١٧١

- أهو نائب رئيس التحرير ؟

أجابها ، وهو يندفع نحو الباب :

- نعم .. إنه هو .

تنهت في ارتياح ، واسترخت في مقعدها ، ترتشف بقايا قدح القهوة ، وتطلع إلى الجدار الزجاجى بصف الشفاف ، الذى يفصلها عن صالة التحرير ..

ولم تمض دقيقة واحدة ، حتى شاهدت ظل أحد رجال الأمن . وهو يقود رجلاً إلى الصالة ، فيتجه نحوه ظل محرر الطوارئ ، وينهمكان في حديث قصير ، بعد انسحاب رجل الأمن ، ثم ناول تلك الرجل للمحرر مقروفاً ، و...

وفجأة ، انتفض جسدها في عنب ..

لو أن هذا القادم هو نائب رئيس التحرير ، فلماذا تحدث هاتفياً ، قبل أن يأتى ؟؟

ولماذا يفوده أحد رجال أمن الجريدة ؟؟

ثم ما ذلك الشيء ، الذى أعطاه لمحرر الطوارئ ؟؟ استيقظ عقلها بقة ، واستوعب الموقف كله ، فسقط قدح القهوة من يدها ، وهي تشهق هاتفاً :

- رباه !

رأت الظلين يتحركان في سرعة ، مع صوت سقوط القدح ، فقفزت من مقعدها ، وانطلقت تعدو نحو الشرفة ،

١٧٠

أعاد (أدهم) سناعة الهاتف إلى موضعها . وهو
يعقد حاجبيه ، ويقول في حزم :
- لم يتم الطور عليها بعد ، ولكن رجالنا ينتشروا في
العاصمة ، وسينزلون قصارى جهدهم للبحث عنها .
تضاعف توتر (باتيل) ، وهو يقول :
- ماذا أصابها ؟! .. رياء .. ماذا أصابها ؟!
أشار إليه (أدهم) ، قائلاً :
- توترك لمن يفيد .. حاول أن تهدأ ، وأن تفكر
بتركيز ، و ..
قاطعه (باتيل) في مرارة :
- إن يمكنك أن تستوعب هذا الشعور ، لأنك لم تمر
به قط من قبل .
لم يعلق (أدهم) على العبارة ، على الرغم من المرارة
التي اعتصرت قلبه ، عندما نطق بها (باتيل) ..
وبالأسفيرة العبارة ..!
هو بالذات يتصور (باتيل) أنه لم يمر بهذا الشعور
من قبل قط ..
هذا لأنه لا يعلم شيئاً عن حقيقة قلبه ومشاعره ..
لا يعلم بأسر تلك العاطفة القوية ، التي تربط قلبه بقلب
(منى) ..

١٧٢

ذلك الحب النادر العظيم ، الذي جمع قلوبهما ، حتى
وهي في أصاقل غيوبتها الطويلة(*) ..
لا يعرف كم تمزق أكثر من مرة ، غلب كان أهداه
يختطفونها ، أو يسقطون عليها ، لهزيمته وقضاء عليه ..
لا أحد في العالم كله يمكنه أن يتصور شعوره ، عندما
أصابها ما أصابها ، وسقطت في تلك الغيبوبة ، التي حرمتها
منها .
لا أحد يفهم أو يدرك عذابه ومرارته ، عندما فقد
إنه(*) ..
لا أحد يفهم ، أو يمكن أن يفهم ..
لا أحد ..
وربما لا يشعر أحد ، أو يدرك ، أو يفهم ، لكنه وسيطر
دائماً على مشاعره وانفعالاته بإرادة قوالية ، كما فعل
في تلك اللحظة ، وهو يجيب (باتيل) :
- المهم أن نبذل قصارى جهننا .
ثم أخرج من جيبه صورة كبيرة لشيوخ أنشيب الشعر
واللحية والشارب ، متفصّل الوجه ، وضعها أمامه ، وراح
يمزج بعض المواد في وعاء كبير ، ويدهن بها طبعة
الوجه ، التي صنعها لتشبه (باتيل) ، الذي قال في حدة :
(*) راجع قصة (العصبة القصصة) .. المصممة رقم (١٠٠) .

١٧٣

به ، ورفع من القصيص إلى أعلى ، فاستعت عينا (باتيل)
في دهشة ، وقمناه تضربان الهواء ، في محاولة للهبوط
إلى الأرض ، في حين اعتقد حاجبا (أدهم) في صرامة
لا قبل له بها ، وهو يقول :
- اسمعني جيداً يا (باتيل) .. أكثر من عشرة رجال
يجازون بحياتهم ، ويخاطرون بأرواحهم ؛ لوضعنا
سلامتك وأمنك ، وينزلون قصارى جهدهم لمعاونتك على
الخروج من هنا ، والوصول إلى (مصر) ، ولن أسمح
لك بإفساد هذه الخطوة قط .. ستتتزم بكل خطوة فيها ،
وتخضع لكل مرحلة ، وتترك الباقي لنا .. هل تفهم ؟
حرك (باتيل) قميصه مرة أخرى ، وارتجف قلبه ،
عندما أدرك أن (أدهم) يرفعه عن الأرض بيد واحدة
بالفعل ، وارتجفت الدماء في عروقه ، مع نظرتة القوية
ولهجته الصارمة ، مم جطة يقمغم ، في لهجة أقرب
إلى الرجاء :
- وماذا عن (نينا) ؟
اجبه (أدهم) في حزم :
- أنا المسئول عن سلامتها .
ارتجفت شفتا (باتيل) لحظات ، قبل أن يخفض عينيه ،
متنبها :

١٧٥

- هل ستكتفى بهذا العمل السخيف ؟
أجابه (أدهم) في صرامة :
- هذا العمل السخيف هو أساس خطتنا
صاح (باتيل) :
- أية خطة ؟! .. لن تنفذ أية خطة ، إلا بعد عودة
(نينا) .
التفت إليه (أدهم) في صرامة ، قائلاً :
- هناك أكثر من عشرة رجال يبحثون عن (نينا)
الآن ، ولقد هربت بإرائتها ، ولم تتلزم بالخططة ، ولن
يفسد عملنا الأخرق هذا خطتنا .
صاح (باتيل) :
- أية خطة هذه ؟! .. لا أحد يعرف هذه الخطوة سواك ..
إنها مدفونة في عقلك وحده .. ثم ما صلة الخطوة بصورة
شيخ مألوف كهذا ؟
أجابه (أدهم) صارماً :
- هذا الشيخ المألوف هو الذي سيخرجك من هنا .
قال (باتيل) في عناد :
- ليس قبل عودة (نينا) .
لم يكد (باتيل) ينطقها ، حتى تحرك (أدهم) في سرعة -
وجنبه من قميصه ، ثم دفعه نحو الجدار ، حتى ارتطم

١٧٤

- فليكن .

تركة (أدهم) يهبط على قدميه ، وهو يقول :

- هذا أفضل .

ثم عاد يواصل عمله في مدوء عجيب ، وكأنه لم يتصرف بمنتهى العنف ، منذ لحظة واحدة ..

وفي دهشة ، تطلع إليه (يانيل) ، وتساءل في أصغائه ..

أي نوع من الرجال هذا ؟!

بل أي نوع من البشر ؟!

لقد درس ملفه طوال ثلاث سنوات ، وعرف عنه الكثير والكثير ..

وتصور أنه يفهم تمامًا ..

حتى التقى به ..

لقد كشف لحظتها أن كل ما درسه لم يكن يساوي شيئًا ..

فالرجل أعظم مما تصور بكثير ..

صحيح أن دراسة شخصيته كانت ممتعة ..

ولكن مراقبته وهو يعمل ، هي الممتعة نفسها ..

إنه شخص يجبرك على طاعته واحترامه ، حتى ولو كنت عدوه ..

شخص يستحق اللقب الذي يحمله ..

١٧٦

لقب (رجل المستحيل) ..

« هل سمعنا هذا ؟! » ..

التفج الملقى للصكري من الشرفة ، وهو يهتف ، بلعبارة ، فالتفتا إليه مفا ، وأرهف كل منهما أذنيه ، فتأهيا إلى مسامعها صوت يأتي عبر مكبر صوت بعيد ، يقول بالحرية :

- (نينا) لدينا .. اللقاء في الساعة صباحًا .. الميناء القديم

اتخذ حاجبا (أدهم) في شدة ، في حين تنفض جسد (يانيل) في غضب ، ومن بالارتفاع نحو الشرفة ، هاتفا :

- يا لثوغاد !

ولكن (أدهم) وثب ويمسكه في حزم ، وهو يقول :

- انتظر يا رجل .. هذا ما يسعون إليه .. أن يدفعك الانفعال إلى كشف مخبك واضع أمرك بنفسك .

كان النداء يتردد على نحو ممتاز ، عبر بوق سيارة المراقبة الأمريكية ، التي تجوب شوارع (كراكس) ، فقال (يانيل) في عصبية :

- لقد أمسكوا بها .. ألم تفهم ؟

قال (أدهم) في صرامة :

١٧٧

- نعم .. أتق بك تمامًا .

قالها ، وهو يضي كل حرف منها بالفعل ، فترك (أدهم) كتفيه . وقال :

- عظيم

ثم اتجه إلى طبة الوجه ، وعاد يصنع القناع المشود بمتنهي الهدوء ، مستطردًا :

- التزم إذن بالخطة .

ولم يعترض (يانيل) هذه المرة ..

لم يعترض ، على الرغم من أنه ما زال يجهل كل شيء عن تلك الحطة ..

كل شيء ..

★ ★ ★

تقبت زوجة المفتش (باردو) في فراشها ، وتحسست موضع زوجها الخالي ، ثم اعتكلت جالسة ، وفتحت عينيها في قلق ، ونهضت ترتدي معطفًا منزليًا رقيقًا ، لتتجه إلى الشرفة ، حيث وقف زوجها . مستندًا إلى حاجز الشرفة ، فسألته في قلق :

- أين تنتهي هذه الليلة أبدًا ؟

أشار إليها بيده . قائلاً :

- اصمتي واسمعي .

١٧٨

- بل فهمت ، ولكن (نينا) ليست هدفهم الرئيسي .. إنهم يريدونك أنت ، وما هي إلا وسيلة لصيدك ، فلا تمنحهم الفرصة لتحقيق مآربهم .

هتف (يانيل) في مراوغة :

- هل تريد مني أن أتخلى عن (نينا) ؟

جاء (أدهم) بسرعة :

- مصلًا . ولكنني لا أريد أن يتبع لطمع بهذه السذاجة .

سأله في مرارة . وهو بمد أذنيه كفته . في محاولة نحجب تلك النداء المتكرر المستفز عنها :

- ماذا أفعل إذن ؟! ماذا أفعل بسلامت لا أستطيع المعنى لإقلاذ ، ولا أطيع البقاء ساكنًا ؟

أجابه (أدهم) في حزم :

- تلتزم بالخطة ، وتترك لي أمر (نينا) .

هتف (يانيل) :

- مستحيل !. لن أتخلى عنها أبدًا .

أمسك (أدهم) كتفيه فجأة ، وهو يقول في صرامة ، متطفاً إلى عينيها مباشرة :

- (يانيل) .. هل تثق بي ؟

شعر (يانيل) بالأصابع الفولاذية على كتفيه ، وتطلع مبهورًا إلى العينين الصارمتين ، بنظريتهما القوية العبيقة . وتمتم :

١٧٨

التبتهت لحظتها فقط إلى ذلك النداء ، الذي يتردد من
بعد بلقة غريبة ، فسألته في حيرة :
- ما هذا ؟

هز رأسه نفيا ، وهو يجيب :
- لست أدري .

ثم التفت إليها مستطردا :
- ولكن لماذا في رأيت تنور سيارة أجنبية في قلب
العاصمة ، في الخامسة صباحا ، لترتد نداء بلقة
لا نفهمها ؟

أرسلت الصبح ، مضغمة :
- تبدو لي كلحدى اللغات الشرفية .. العربية أو
الفارسية (*) .

هز رأسه نفيا ، وهو يقول :
- بل هي العبرية .
سألته في دهشة :

- وكيف عرفت هذا ؟
التقط نفسا عميقا ، وقال :
- لدى أساببي .

(*) فارسية : لغة إيرانية ، من العائلة الفرعية الهندية
إيرانية . للغة الهندية الأوروبية .

١٨٠

ثم تنفع إلى مكتبه ، فسألته حائرة :
- ماذا ستفعل ؟

عاد يحمل جهاز التسجيل الصغير ، وهو يقول :
- أريد معرفة فحوى النداء ، ولست لدى وسيلة سوى
تسجيله ، واستشارة شخص يفهم تلك اللغة .
سألته ، وهو يسجل النداء .

شخص مثل من ؟
أشار إليها بالصمت ، فالتفت به مرغمة ، والفضول
يكاد يتهمها ، وهو يسجل النداء عدة مرات ، قبل أن يلتفت
إليها ، قائلا :

- مثل (ماريوس) .. أمه كانت يهودية .. أليس
كذلك ؟

أوبأت برأسه إيجابيا ، وهي تقول :
- نعم .. أعتقد هذا .
عاد إلى الداخل ، واتجه إلى الهاتف مباشرة ، غفالت
مستكبرة :

- هل ستكمل به الآن ؟
أجاب وهو يضغط أزرار الهاتف :
- بالتأكيد .. إنه يستيقظ دائما متأخرا ، ولن يضيره
أن يستيقظ مرة واحدة مبكرا .

١٨١



ثم بعض ينطق مسددا ، ريدت في حواشيه ، وهو يتردى سوله ،

لهفت به زوجته : - هي مستخرج لدية ؟

سألته في حرج :
- ولماذا لا تنتظر حتى الصباح ؟
أشار بيدهما ، قائلا :

- لأن الأشخاص الذين يستخدمون مكبرا للصوت ، لتسجل
نداء ما في المدينة ، في الخامسة صباحا ، يعلمون جيدا
أن الأمور لا تحتمل الانتظار حتى شروق الشمس .
ثم اعتصر سماعة الهاتف بأصبعه ، قائلا ،

- صباح الخير يا (ماريوس) .. تا (يارنو) .. نعم ..
أعلم كم الساعة الآن .. اخرس ، واستمع إلى ذلك النداء
جيدا ، وترجم لي فحواه مباشرة

وأثنى جهاز التسجيل من الهاتف ، وضغط زر الاستعادة ،
واتنظر لحظات ، ثم سأل في لهفة :
- هه .. ما الذي يعنيه هذا ؟

واستمع إليه في اهتمام بالغ . قبل أن يقول :
- عظيم .. عد إلى نومك يا (ماريوس) .. لقد أديت
لي خدمة حقيقية . لأول مرة في حياتك .

ثم نهض يلتقط ممسسه ، ويدسه في حزامه ، وهو
يرتدي سترته ، فهتفت به زوجته :
- هل ستخرج ثانية ؟

التفت إليها ، قائلا :

١٨٢

- بالطبع يا زوجتي العزيزة .. لقد شارفت الكلية
نهايتها ، ولست أحب أن يوقتي المشهد الأخير .. إلى
اللقاء .

خلق قلبها في حنف ، وهو يقامر المنزل ، وراودها
ذلك الشعور المزعج ، بأنها لن تراه مرة ثانية ..
على قيد الحياة ..

★ ★ ★

١٢ - وجهًا لوجه ..

(كراكس) .. لثاني عشر من يوليو ..
الخامسة والنصف صباحا ..

« لمادة المسافرين على طائرة (تى - بيلو . إيه) ،
المتجهة إلى (نيويورك) . عليهم التوجه إلى بوابة السفر
رقم أربعة .. »

تردد ذلك النداء بعدد من اللغات المختلفة ، في مطار
(كراكس) ، ولوان الشفق المتموجة ، ما بين الأحمر
والبرتقالي والأخضر والأزرق ، تضاف عن استعداد الشمس
لبدء رحلتها اليومية في السماء ، وتوزع ثلاثة من رجال
(الموساد) ، في مناطق مختلفة في المطار ، يحرصون وجوه
المسافرين في اهتمام وحرص بالغين ، ويراقبون كل حركة
يأتى بها مسافر أو مودع أو مستقبل ، بالاشتراك مع عدد
من ضباط الجمارك ، الذى منحوا ولاهم للإسرائيليين ،
مقابل مبالغ مختلفة من المال ..

ووسط كل هذا ، ظهر شيخ أشيب الشعر والحية
والشارب ، يخفى عينيه ونصف وجهه المتفصن خلف منظار

١٨٥

خمسّم الثاني :

- بالتأكيد .

ثم أشار بيده إشارة خفية لأحد ضباط الجوازات ، الذى
تبع الإشارة ، حتى وقع يصوره على الشيخ ، فهز رأسه
دلالة الفهم ، واتجه إلى الشيخ مباشرة ، وهو يقول :

- هل نرى أن أرى جواز سفرك يا والدى ؟

عقد الشيخ حاجبيه الكثين ، وهو يقول فى حصىة :

- لماذا ؟

اجابه الضابط فى صرامة :

- إنه إجراء أمنى .

لوح الشيخ بيده فى حدة . قائلا :

- ولماذا تقوم بإجراءك الأمنية معى أنا وبالأذات ؟ ..

المطار يحتظر بالناس ، فلماذا أنا بالتحديد ؟

تضاعفت صرامة الضابط ، وهو يقول :

- جواز سفرك يا رجل ، وإلا ..

هتف الشيخ فى غضب :

- وإلا ماذا ؟ .. هه .. وإلا ماذا ؟ .. هل ستضرب شيخا

مئلى ؟

أسرع الشاب يتدخل ، قائلا :

- رويدك يا جدى .. الرجل يؤدى واجبه فحسب .

١٨٧

طيس سبيك كبير ، وهو يجلس على مقعد متحرك ، يدفعه
شاب أمريكي بسيط ، والشيخ يقول فى ضجر وتبرم :

- لقد تأخرنا .. أراهن على أننا تأخرنا .. أنت المسئول

عن هذا .. دائما أنت المسئول .

بدا الحرج على الشاب ، وهو يقول :

- رويدك يا جدى .. إنه التذام الأول .. ما زال أمامنا

الكثير من الوقت ، قبل أن تغلق الطائرة .

لوح الشيخ بيده ، هاتفا :

- خطأ .. خطأ .. أنت تكذب .

زفر الشاب فى ضجر ، قبل أن يقول :

- لا تقلق يا جدى .. أرجوك لا تقلق .

انتقلت عيون رجال (الموساد) إلى الشيخ على الفور ،

وبدا بهم وجهه المتفصن . مع لحيته الكتنة وشاربه الصخم .

وذلك المنظار الطبي الكبير أشبه بقناع مكن ، فهمن لخدمه

لزميله :

- هل ترى هذا الشيخ هناك ؟

أجابه فى توتر :

- نعم .. والفكرة راودتني أيضا .

قال الأول فى حزم :

- أراهن على أنه رجل متفكر .. هذه الملامح لا تبدو

طبيعية أيذا .

١٨٦

وناول جواز السفر للضابط ، مستطردا :
- ها هوذا جواز السفر .. إني أعتذر عما يذر من
جدي .

هتف الشيخ في غضب :
- تعتذر ؟! ولماذا تعتذر ؟! أنا لم أرتكب أية أخطاء .
فتح الضابط جواز السفر ، وراح يطلعه في اهتمام ،
بحثا عن أية علامة من علامات التزوير ، إلا أنه بدا له
سليما تماما ، فقال في حزم :
- ممتنة .. سأفحص جواز السفر إلكترونيا .

صاح الشيخ :
- تفحصه إلكترونيا ؟! هذا تعبت .. إسرف .. تجاوز
أمنى

لم يبال الضابط بثورته ، وهو يحمل جواز السفر إلى
حجرة الأمن ، ويبلغه داخل جهاز الفحص الإلكتروني ،
في نفس اللحظة التي لحق به فيها أحد رجال (الموساد) ،
وقال في لهفة :

- جواز زائف .. أليس كذلك ؟
حقا ضابط الجوازات رأسه في حيرة ، وهو يقول :
- بل جواز سفر سليم تماما ، لا شبهة فيه ، وأرقلمه
نطبق ما حصل عليه جهاز الكمبيوتر .. نفس الاسم
والصورة والوظيفة .

١٨٨

عقد رجل (الموساد) حاجبيه ، وهو يقول :
- عجباً !.. ولكن الرجل بدا لي ...

ثم يتر عبارته ، ليهتف في حماس :
- آه .. فهمت .. جواز السفر سليم ، ولكن الرجل زائف ..
لقد حصلوا على جواز السفر ، وصنعوا قناعا لرجلنا
المنشقي .. فليقطع ذراعي لو لم يكن الأمر كذلك ..
هز ضابط الجوازات كتفيه ، قائلا :
- هذا أمر يسهل التأكد منه .

ثم غادر حجرة الأمن ، واتجه مباشرة إلى الشيخ .
وناول جواز السفر لحفيده الشاب ، وهو يقول :
- ممتنة .. كانت سيرة إجراءات أمنية .

هتف الشيخ غاضب :
- بل هي تفتات لا يبرز لها .. سلفاضيك من أجلها .
سوف ...

قبل أن يتم عبرته ، التحنى ضابط الجوازات بفتة .
وجنب لحيته .

وانتفضت أجساد رجال (الموساد) الثلاثة ..
وكالت المفاجأة مدهشة ..
مدهشة بحق ..

★ ★ ★

١٨٩

قال (دار) في حزم :

- (أدهم صبري) سيمتعه من الحضور .. لو أتى
في مكانه لما خاطرت بخسارته من أجلها .

أجابته (جبر) في برود :
- من حسن الحظ إنك لست في مكانه ، فأنت لا تتردد
في التضحية بأمر نفسك ، في سبيل سلامتك ، أما هو ،
فمقدار ما لديه من حفاقة يدفعه للمخاطرة بحياته ، في
سبيل الآخرين .

مط (جوهي) شفتيه ، مضغما :
- لن يمكنني فهمه أبدا .
أشار (جبر) بيده ، قائلا :
- لا تحاول .

ثم اتفقد حاجباه في صرامة ، وهو يستطرد :
- والآن دعونا لانقف هنا .. اذهب فانكشف خلف ذلك
الرصيف هناك يا (دار) .. أما أنت يا (جوهي) ، فعند
المقز القديم .

سأله (دار) :
- ومذا عن الفتاة ؟
أجابته (جبر) في هدوء :
- أتركها داخل السيارة ، حتى نحتاج إليها .

١٩١

ألقي (رونالد جبر) نظرة على ساعته ، التي أشارت
عقاربها إلى الخامسة وأربعين دقيقة ، وهو يقف عند
الميناء القديم ، وتطلع في صمت إلى الأفق ، حيث بدأت
الشمس رحلتها ، فسأله (جوهي) في قلق :
- هل تعتقد أنهما سيحضران إلى هنا ، في الموعد
المحدد ؟

أجابته (جبر) في حزم :
- أحدهما سيأتي على الأقل .
قال (جوهي) تلقا :
- ولكنه فغ واضح للغاية .
هز (جبر) رأسه ناويا ، وهو يقول :
- ليس فغا يا رجل .. إنها مقايضة واضحة ومباشرة ،
وسيقعها كلاهما على الفور .. إتينا نطلب حياة (يانيل)
مقابل حياة الفتاة .

قال (دار) :
- وهل تعتقد أن (يانيل) يمكن أن يضحي بحياته من
أجلها ؟

ابتسم (جبر) في سخرية ، قائلا :
- بل أنا واثق من أنه لن يستطيع مقاومة هذا . ألم
يحتمل كل ما احتمل من أجلها ؟! أليس حبه لها هو الذي
يدفعه لطلب الاعتزال المبكر ، وهو الذي فعل به كل هذا ؟!

١٩٠

خشم (دار) :

- فليكن .

قالتها ، وأسرع نحو الوصيف القديم ، واختفى خلفه ، وهو يمسك مسدسه في تأهب ، في حين اتجه (جولهي) إلى المخزن القديم ، وقال لأحد رجاله في حزم :

- لو حاول تلك الأمريكي النعين حسب الموقف لصالحه ، أطلق عليه النار بلا تردد ، وسندعي بعدها أن (أدهم صبري) هو الذي فعل هذا .

كانوا خمسة من رجال (الموساد) ، وثلاثة من المخابرات الأمريكية ، لا يظهر منهم سوى (جير) وحده ، أما الباقون فيختفون في أماكن شتى ، بحيث يمكنهم مراقبة الميناء القديم كله ، والسيطرة على كل ركن فيه ..

وراحت الدقائق تمضي في ببطء ، وعشرات التساؤلات تشتمل في أعماق (جير) ..

ترى أيهما سيأتي ؟ ..!

(يانيل) وحده - أم (أدهم) ؟ ..!

أم أن كليهما سيأتيان ؟ ..!

لم يضع في اعتباره قط احتمال عدم قدومهما ، فقد درس شخصيتهما جيدا ، ويدرك أن أحدهما سيأتي حتما . أحدهما على الأقل ..

١٩٢

ولكن من ؟ ..!

من ؟ ..!

سرت في أعماقه تشعيرة مباغطة ، عندما ارتفعت صيحة بقة ، من أحد الأمن ، التي يختفى فيها رجاله ، والتفت إلى مصدرها ، هاتفا :

- ماذا حدث ؟

برز رجل آخر . قائلا :

- أعقد أنه (بيل) هناك .

أشار (جير) بيده ، قللا :

- (بيل) .. أأنت بخير ؟

ولما لم يتلق جوابا ، انعقد حاجباه في شدة ، وقال :

- أذهب لتفقد الأمر يا (آدم) .

أمسك (آدم) مسدسه في قوة ، وتحرك في خفة ، نحو الموضع الذي يختفى فيه (بيل) ، ولم يك يبلغه ، حتى هتب :

- رهاه !.. إنه فاقد الوعي يا (جير) .. إنه ..

بتر عبارته بشبهة عنيفة ، ثم صوت سقوط جسم على الأرض ، فنبت (جير) ، وهو يستل مسدسه :

- إنه هناك .. أطلقوا النار ..

١٩٣

ارتفع صوت (يانيل) ، من مكان ما ، وهو يقول :

- خطأ يا مستر (جير) .. لقد غادرتم جميعا مكائنكم ، وأصبحتم في مرمى نيران بنديتي ، التي أصوبها إلى أذنكم .. والآن أخبروني .. من منكم يرغب في المغامرة . بدا عليهم التوتر الشديد ، وعقد (جير) حاجبيه ، قائلا :

- هل تجازف بحياة (نينا) ؟

أجاب (يانيل) في صرامة :

- لو ممستم شعرة واحدة من رأسها ، سأطرح بروجوسكم جميعا

صاح (جير) :

- ولو ممستم شعرة واحدة منا ، أقسم أن أسف رأسها الجميل نسفا .

قال (يانيل) في حزم :

- اتفقا يا مستر (جير) .. ألقوا أسلحتكم ، وسألقى سلاحى :

قال (دار) في حدة :

- لن أتخلى عن سلاحى قط .

والقى (جولهي) سلاحه أرضا ، وهو يقول في غضب :

- أيها الغبي ، لن يمكنك الاستفادة به في الجحيم .

١٩٥

برز (جولهي) و (دار) من مخبئهما ، مع رجالهما الثلاثة ، وراحا يطلقون النار على تلك الموضع في إسراف ..

وفجأة ، شوق أحد الرجال الثلاثة ، وسقط أرضا فاقد الوعي ، ولصمت عينا (جير) في دهشة متوترة ، عندما شاهد تلك الشيء ، الذي أفقد الرجل وعيه ..

لقد كان سهما صغيرا ، في قمته كتلة صلبة ، ارتطمت بجبهة الرجل ، وأقعدته وعيه على الفور ..

ولم عصوية ، هتب (جير) :

- توقفوا .. توقفوا .. إنه ليس هناك .

ومع صيحته ، تطلق سهم آخر ، ارتطم بجبهة رجل ثان من رجال (الموساد) ، وأسقطه أرضا ، فتوقف (دار) و (جولهي) ورجلها المتبقى عن إطلاق النار ، وتلقوا هولهم في توتر عصبي ، وهتب (جولهي) :

- ماذا حدث يا مستر (جير) ؟ ..! هل وقفنا في فخ ، بدلا من أن نصنع فخا ؟

صاح به (جير) في عصوية :

- اصمت أيها الغبي .. ما زال لدينا سلاحنا الرئيسى . ثم هتب بصوت مرتفع .

لاداعي لما تفعله .. أفضح عن نفسك ، وإلا نقتلنا الفتاة .

١٩٤

تبعه رجل (الموساد) ، وألقى سلاحه بنوره ، في حين تردد (دار) لحظة ، قبل أن يلقى مسدسه في غضب ، هاتفا :
- اللعنة .

وبقى (جير) وحده ، وهو يقف متوترا ، عاكفاً حاجبيه ، فسأله (يائيل) :

- وماذا عنك يا مستر (جير) ؟

أجاب (جير) في هدوء :

- ألقى سلاحك أولاً .

قال (يائيل) في حزم :

- كلا يا مستر (جير) .. إنني أمنحك فرصة واحدة لإلقاء مسدسك ، وإلا نسفت رأسك مباشرة .

ثمك حاجبا (جير) في شدة ، حتى خُيل للإسرائيليين الثلاثة أنهما لن يفتراقا بعدها أبداً ، وهو يلقى سلاحه في هدوء ..

وارتفع صوت (يائيل) ، قائلاً :

- عظيم .

ومن منطقة بعيدة ، عند مخزن السيارات المنهالك ،

برز (يائيل) ، وهو يحمل بندقيته ..

وفي سخط ، غشم (جولهي) :

١٩٦.

- ذلك الحقيير خدعنا جميعاً .

وقال (دار) :

- أقسم أن أكنه والغناة مغا .

أما (يائيل) نفسه ، فقد بقي ثابتاً صامتاً لحظات ، ثم

تقدم نحو (جير) في حذر ، وهو يقول :

- أين (نينا) ؟

أشار (جير) إلى ساعته ، قائلاً في حسيبة :

- إنها لم تبلغ السادسة بعد .

أجاب (يائيل) :

- أعظم هذا .. صحيح أن قواعد اللياقة تحتم عدم الحضور

قبل الموعد ، ولكن في عملنا ، من الأفضل أن تصل قبل

الموعد ، حتى يمكنك دراسة تحركات خصمك ، على أرض الممرعة .

عقد (جولهي) حاجبيه ، وهو يقول :

- من أين اكتسبت هذه الخبرة ؟

التفت إليه (يائيل) ، وأجاب في صرامة :

- من إصراركم على القضاء على ..

قال (جير) في توتر :

- كان المقروض أن تكتلي سلاحك أيضاً .

أجاب (يائيل) صارماً :

١٩٧

- هذا يدعوك إليها .

ومع إشارته ، أبرز الرجل بقية ، مسدساً قوياً ، وألصق

فوهته بجبهة (نينا) ، التي شبهت في دعر ، وامتزجت

شهلتها بضخمة (جير) السافرة ، وهو يقول :

- هل تصوّرت أنك تتعامل مع هواة يا (يائيل) ؟! ..

حضورك المبكر كان في الحسبان أيضاً .. أعترف أننا فُششنا

المكان كله ، دون أن ننتبه إلى وجودك ، وهذا قصور

شديد فينا ، ولكنني اتخذت الحيطة ، وأخفيت مسدساً قوياً ،

في نفس المكان الذي احتفظنا فيه بفتاتك .. ولقد أفلحت

الخطوة .

ثم مال نحوه ، مستطرداً في ظفر :

- والآن يا عزيزي (يائيل) .. أيهما تختار ؟؟ حياتك أم

حياة محبوبتك .

هتف (جولهي) ، وهو ينحني لالتقاط مسدسه في

سرعة .

- رابع يا مستر (جير) .. رابع

أما (دار) ، فقد وثب يلتقط مسدسه بذرره ، صليحاً :

- دعني أنا أختار .. لقد اخترت حياتكما معا .

وهنا تحرك (يائيل) في سرعة ، هاتفا :

- وماذا عن حياتك أنت ؟

١٩٩

- ليس قبل وصول (نينا) .

ران عليهما الصمت حطمت . ودس منهما يتطلع إلى

عيني الآخر في صرامة ، ثم التفت (جير) إلى رجل

(الموساد) ، قائلاً :

- احضر الفتاة .

ترد الرجل لحظات ، حتى قال له (جولهي) في حزم :

- أحضرها .

وهنا تراجع الرجل في ببطء . ثم أطلق يعدو نحو

خزان مياه قديم ، فتسلق سلمه في نشاط ، وغاب داخله

لحظات ، وعاد وهو يمسك (نينا) المفيدة في إحكام .

ولم يكد بصرها يقع على (يائيل) ، حتى هتفت في لهفة

مذعورة :

- (يائيل) .. لماذا أتيت ؟؟ لماذا ؟

أشار (جير) للرجل بالتوقف ، وهو يقول في صرامة :

- والآن يا (يائيل) .. أنت مستعد للمقايضة ؟

سأله (يائيل) بلهجة شبيهة ساخرة :

- أية مقايضة يا مستر (جير) ؟؟ (نينا) هنا ، وأنا

أحمل السلاح ، فم الذي يدعوني للمقايضة ؟؟

ابتسم (جير) في سخرية ، وهو يشير إلى الرجل

الممسك بـ (نينا) ، قائلاً :

١٩٨

١٣ - البديل ..

جنب ضابط الجوازات لحية الشيخ في عطف ، فشرأبت أعناق رجال (الموصاد) الثلاثة . وتوقعوا أن يتكشف أمر الشيخ المزيف ، ولكن أجسادهم انتفضت في عطف ، مع تلك الصرخة التي أطلقها الشيخ :

- ماذا تفعل أيها المجنون ؟

ارتدت ضابط الجوازات مصعوقا ، أمام تلك المفاجأة ، في حين راح الشيخ يصرخ :

- هذا تفت .. جنون .. أين المسئول هنا ؟ .. أريد شخصا يمكنني مقاضاته .

وهناك حفيده محققا :

- هل لك أن تصبر لي ما فعلته ؟ .. فإني أطلب بتعويض مناسب !

ارتبك ضابط الجوازات ، واضطرب ، وهو يقول :

- معذرة ياسيدي .. معذرة .. لم يكن هذا مقصودا ..

أنا مستعد لأية ترضية .. أنا رهن إشارتكما .

صرخ الشيخ :

٢٠١

١٩٥٠ - ح. المنصور (١٩٥٣) (ط ١)

ودار جمده في مرونة مذهشة . ليطبق رصاصته الأولى نحو ذلك الرجل ، الذي يمسك (نيقا) ، ويطيح به بإصابة بقرقة مباشرة . ثم يلتفت إلى (دار) و (جولهي) ، ويطلق النار على الممسك الذي يمسك به الأول ، في نفس اللحظة التي انقضت عليه فيها (جبر) ، هاتفا :

- لن تهرب أبدا .

انحنى (باتيل) متفاديا الرصاصات - التي أطلقها (جولهي) نحوه . ثم دار بندقيته في سرعة مذهشة . وضرب وجه (جبر) بكمبها في عطف ، قبل أن يديرها مرة أخرى ، ويطلق منها رصاصات ثلاثة . أطلقت بمسلس (جولهي) ، قبل أن تنطلق منه رصاصات أخرى وسقط (جبر) في عطف ، مع قوة الضربة ، ثم هب وانقا . وحق في الممسكين ، الذين أطلقت بهما رصاصات (باتيل) ، قبل أن يشير نحوه ، صارخا :

- يا للشيطان ! .. أنت لست (ياليل) .. لست (ياليل) .

وهنا اعتدل (آدم) ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يستعيد صوته الطويحي ، قللا :

- بالطبع أيها النكسي .. أنا لست (ياليل) .

وكانت مفاجأة للجميع ..

مفاجأة مذهلة .

★ ★ ★

٢٠٢



دفع حفيده المقعد المتحرك أمامه مسرعا ، حتى بلغ دورة المياه ،

وضابط الجوازات يتابعهما بوحدة محقق ..

- أريد تعريضا عما أصابني . وما لحق بي من إهانة .. مليون دولار .. سأطلب مليون دولار على الأقل .

امتنع وجه ضابط الجوازات ، وهو يقول :

- لا داعي لتعقيد الأمور ياسيدي .. قت لك إتي مستعد لأية ترضية .

صاح الشيخ :

- خلا .. لن أقبل بأقل من ... من ...

ثم اجتاحت نوبة سعال عذيفة ، ففوح حفيده بيده ، وقال :

- معذرة .. سنناقش هذا فيما بعد .. جدي يحتاج إلى

جرعة ماء

هتف الشيخ .

- دورة المياه .. أذهب بي إلى دورة المياه في مرة .

دفع حفيده المقعد المتحرك أمامه مسرعا ، حتى بلغ

دورة المياه ، وضابط الجوازات يتابعهما بوجه محقق ،

قبل أن يتجه إلى رجل (الموصاد) ، قائلا في حق :

- لعنة الله عليكم .. لقد وضعتوني في موقف شديد

الخرج .

لم يكن يدري ، أنه في نفس اللحظة ، التي نطق فيها

بعارته ، كان الشيخ ينهض من مقعده المتحرك ، وهو

يقول لحفيده في جنل :

٢٠٢

هتف الشيخ في سعادة :

- حقاً ٢٢ -

لوح له الأثغر بيده ، ودفع المقعد المتحرك أمامه ،
مفانداً المكان ، وعكداً إلى صالة الجوازات ، فصرخ
الشيخ كفيه ، وقال في جذل :

- عظيم .. المفروض أن أسجل هذه التحققات .. طيلة
عمرى كنت أهتم بلعب نور (جيمس بوند) (*) ، ولقد
لعبته في الحياة الواقعية ببراعة .

وضع رجل المخابرات يده على كتفه . قائلاً :

- ولكن النور لم يفته يد يا مستر (ويليس) .

تطلع إليه الرجل في دهشة ، قائلاً :

- لماذا ؟.. لقد رهل بدلي بالفل .

أجابه رجل المخابرات باهتمام هائلة :

- ولكن لو وقع بصرهم عليك ، ستكشف اللعبة على
النور ، وحتى لو رحلت الطائرة ، فسيطلبون من رجالهم
انتظاره في (نيويورك) ، ولتخلص منه فور وصوله إلى
هناك .

(*) جيمس بوند : شخصية رجل مخابرات بريطاني ، يمتلك
مهارات فذة يتكرها (آبن فلنج) ، رجل المخابرات البريطاني السابق ،
ويشر مسرعة تنوع من التصرف بشاعة المخابرات في البداية . ثم
لم تلبث شخصية أن نالت شهرة واسعة ، في جميع أنحاء العالم .

٢٠٥

- هل لعبت لوري جيداً ؟

ابتسم حفيده الأثغر ، وهو يقول بالأمريكية :

- كنت رائعاً يا مستر (ويليس) .

ثم التفت إلى أحد الأبواب المغلقة ، مستطرداً باللغة
العربية ، وبلهجة مصرية خاصة :

- كل شيء على ما يرام .

ولم يكد ينتهي من عبارته ، حتى برز أحد رجال
المخابرات المصرية ، من خلف الباب المغلق ، وبصحبته
رجل . هو نسخة طبق الأصل من الشيخ . حتى أن هذا
الأخير هتف مبهوراً :

- رباه .. أهذا أنا .

وبسرعة ، جلس ذلك البدل على المقعد المتحرك ،
بدلاً من الشيخ ، وقد بدا نسخة طبق الأصل منه ، يستشاه
الطول ، الذي اكتمش في المقعد ليخفيه ، وقال رجل
المخابرات المصري بالعربية وهو يربط على كتفه في
اهتمام ، ويناول جواز سفر (ويليس) :

- رحلة موفقة يا مستر (ويليس) .

أوماً إليه البدل برأسه ، مخففاً في توتر :

- أتعظم هذا .

ابتسم الأثغر ، وقال للشيخ بالأمريكية :

- وداعاً يا مستر (ويليس) .. كان العمل معك ممتعاً .

٢٠٤

- لقد قرأت كثيراً عن هزجرك العنة ، وأنتهك للمنحلة
على التنكر ، وأعترف أن ما تصورت أنه آذاك ضرباً من
المبالغة ، كان في الواقع أقل بكثير من الحقيقة .

قال (أدم) ساخراً :

- إنك تثير غروري .

واصل (جير) في مقت :

- وأنت تثير ذهولي ، فلقد جئت لدى قاعة لا تقبل
الجدل . بأنه من المستحيل أن يتنكر شخص ما في هيئة
أخرى ، دون أن تكشف أمره من اللحظات الأولى .

هزّ (أدم) كتفيه ، قائلاً :

- ولتكن عثقت أمري بالفل .

لوح (جير) بيده ، قائلاً :

- ليس بسبب أي قصور في تنكر . لقد أتعنتي تماماً
بأنك (يليل) .. إني لم أشاهد في حياتي كلها تنكراً بهذه
القوة والبراعة .. لقد كشفت أمرك عندما أطعت بمسئسي
(دار) و (جوليس) .. لو أنك (يليل) الحقيقي ، لما ترننت
لحظة واحدة في نصف رأسيهما .. أما (أدم صبرى) ،
فهو رجل المخابرات الوحيد ، الذي لا يلجأ للقتل إلا فيما
تدر .

أوماً (أدم) برأسه إيجاباً ، وقال :

٢٠٧

عقد الشيخ حاجبيه ، وهو يقول في اهتمام :

- عجباً !.. كنت أظن أن اللعبة قد انتهت !

هزّ رجل المخابرات رأسه نفياً ، وهو يقول :

- بل بقيت خطوة هامة يا مستر (ويليس) .. خطوة

يعتمد عليها نجاح العملية كلها .

تطلع إليه الشيخ في قلق ، وشعر من ملامحه أن
الخطر ما زال قائماً ..

وبشدة ..

ارتد (دار) كالصعوى ، وهو يحق في (أدم) ، الذي
تقزع عن وجهه قناع (يليل) ، ولقاه جلياً ، وهو يتسم
ساخراً ..

أما (جوليس) و (جير) ، فقد جمنتهما المفاجأة في
موضعهما ، في حين ألتفتت (نينا) (شبهة قوية ، وهي
تهتف :

- مستحيل !

أشار إليها (أدم) بيده ، قائلاً :

- اقتربي يا سيدي .. لقد انتهت مرحلة الخطر .

أسرعت إليه (نينا) ، ويدها مقينتان خلف ظهرها ،
فحمل وثاقها في سرعة ، وينتقيته مصوبة إلى الرجال
الثلاثة ، فقال (جير) في غضب :

٢٠٦

.. هذا صحيح .. إلى أبغض القتل ، ولا أجهأ إليه إلا مضطراً .. لقد تسكت رأس الرجل ، الذي كان يمسك (نينا) ، لأنه لم يكن هناك من سبيل سوى هذا . أما بالنسبة لـ (دار) و (جولي) ، فقد كانت الإطاحة بمسئليهما كافية .

قال (جبر) فجأة :

.. ولكن لماذا ؟؟

تطلع إليه (آدم) متسائلاً ، فاندفع مستطرداً :

.. لماذا أتيت بدلاً من (يانيل) ؟

أجاب (آدم) في هدوء :

.. لم تكن أصعب (يانيل) لتحمل الموقف .. إنه لم يعد المواجهات المباشرة .

قال (جبر) في حزم :

.. فقط ؟؟

ابتسم (آدم) في سخرية ، قائلاً :

.. أتدرك تفسير آخر ؟

أجاب (جبر) في عطف :

.. بالتأكيد .

ثم مال نحو (آدم) ، مستطرداً في عصبية :

.. في رأيي أنك هنا ؛ لأن (يانيل) في طريقه للفرار .

٢٠٨

كان يصيب كبد العقيلة تماماً باستنتاجه هذا ، إلا أن (آدم) أطلق ضحكة ساخرة عالية ، قبل أن يقول :

.. ياله من تفسير عبقري .. وكيف يفهم من هنا ، وأنتم تسيطر على كل مداخل ومخارج المدينة ؟

أشار إليه (جبر) ، قائلاً :

.. ستجدون وسيلة لهذا .

ثم أشار إلى صدره ، مستطرداً :

.. وأنا سأمنعكم من تهريبه .

سأله (آدم) ساخراً :

.. وكيف أيها العبقري ؟

ترجع (جبر) ، وتألقت عيناه ، وهو يقول :

.. شئ بأن لدى وسيلة .

مال (آدم) نحوه ، قائلاً :

.. مثل ماذا ؟

لم يكد يتم عبارته ، حتى دوت رصاصة في المكان ،

وأصابت بنقطة (آدم) ، وأطاحت بها بعيداً ، وأطلق (جبر)

ضحكة ساخرة عالية ، وهو يقول :

.. مثل هذا أيها المهرور .

ومن خلف المخزن القديم ، برز الرجل الذي أطلق

النار ، وهو مصوب بنقطة القوية إلى (آدم) ، ويقول

ملوحاً بيده :

٢٠٩

.. على أية حال ، لقد مضى كل شيء بسلام .. أتعلمون أن تكونوا قد قضيتما إجازة جيدة هذا .

أرماً الأكثر برأسه ، مضطرباً ، وهو يناوله جواز السفر :

.. هذا صحيح .. بلكم جميل للغاية .

ألقى الضابط نظرة سريعة على جواز السفر ، ثم ختمهما بسرعة ، قائلاً :

.. بالطبع .. بالطبع يا سيور ، ونحن نرحب بكم في بلدنا في أي وقت .

استعاد الأتقن الجوازين ، ودفع المقعد المتحرك نحو

صالة السفر ، والنداء الأخير يتردد في المكان ..

وفي أحد الأركان ، عقد رجل من رجال (الموساد)

حاجبيه ، وضغط :

.. ولكن ماذا لو ... ؟

لم يتم عبارته ، ولكن بذرة الشك نبتت في رأسه ،

فأدار عينيه إلى حيث دورة المياه ، ثم غادر موقعه ،

واتجه نحوها في خطوات سريعة ..

وعندما بلغ بلها ، كان الشك قد تحول في أعصابه إلى

شجرة ضخمة ، كبيرة الأغصان ، غزيرة الأوراق والثمار ،

لنفع الباب في عطف ، و ...

٢١١

.. هل وصلت في الوقت المناسب يا مستر (جبر) ؟

ولم يكن هذا سوى (يوناسير) ..

كبير مفتشى الشرطة ..

تجنح ضابط الجوازات في توتر ، وحاول أن يرسم على

شفثيه ابتسامة كبرى ، إلا أن ابتسامته عكست اضطرابه

الشديد ، وهو يستقبل الأتقن ، الذي يدفع أمامه مقعد

الشيخ ، وقال :

.. محنة مرة أخرى يا سيدي .. لم أكن أقصد شيئاً

بالتأكيد ، ولكن ..

لوح (يانيل) بيده ، وأشار بوجهه متظاهراً بالغضب ،

فجفف الضابط عرقه البارد في توتر ، في حين قال

الأتقن :

.. لقد شرحت الأمر كله لودي ، وأقنعتك بأنك لم تكن

تفسد إهانتته ، وأنك كنت تؤدي واجبك فحسب .

خفف الضابط :

.. هذا صحيح .. كنت أؤدي واجبي فحسب ، ولكنني أعترف

أنف مرة .

لوح (يانيل) بيده مرة أخرى ، وهمهم بعبرة غير

مفهومة ، فعاد الضابط يجفف عرقه ، وهو يقول :

٢١٠

- وبنفسه .. (بوناسيو) فُحص بارع .. لقد حصل على عدة أوسمة من الجيش ، في هذا المجال ، قبل أن يعتزل العمل ، ويلتحق بجهاز الشرطة .

ومال نحو (أدهم) ، ليضيف شامتا :
- أقول لك هذا ، لتطمأن أنه كان باستطاعته قتلك بالرصاصة الأولى ، لولا أنه اعتاد أن يترك لي أيا مهمة اتخذ مثل هذه القرارات .

قال (أدهم) في سخرية :

- وهل يمكنك بالفعل اتخاذ أية قرارات ؟

تراجع (جير) في حدة ، واعتقد حاجباه في شدة ، ثم ابتعد عن (أدهم) ، وأشعل سيجارته في توتر ، في حين قفز (دار) يستعيد منمنمته ، وفحصه بسرعة ، قبل أن يقول محفقا :

- اللعنة .. الرصاصة أفسدت الممسح ..

صاح به (جير) في صرامة :

- اصمت يا (دار) .

ثم التفت إلى (أدهم) ، مستطردا في حدة :

- والآن يا مستر (أدهم) .. هل ستخبرني أين أجد (يائيل) ، أم أنك تفضل الموت دون هذا ؟

أجاب (أدهم) سالغا :

- مارأيك أنت يا (جير) ؟ .. ما الذي توصلت إليه براساتكم لي ؟

وتوقف محققا في الرجل الذي يقف أمامه ..

في مستر (ويبي) الحقيقي ..

التست عينا (دار) في دهشة ، وهو يحنق في (بوناسيو) هاتفا :

- (بوناسيو) ١٢ .. هل يعمل لصالحكم يا مستر (جير) ؟

أجاب (جير) في شيء من الزهو :

- بالطبع يا عزيزي (دار) .. إنه يعمل لحسابك منذ

زمن طويل للغاية .. لماذا استقر في منصبه طويلا في رأيك ، لو لم يكن كذلك ؟

اعتقد حاجبا (جولهي) ، وهو يقول :

- اعترف لكم بالتفوق في هذا المضمار يا مستر (جير) .

أشار (أدهم) بيده ، قائلا في سخرية :

- وأنا أيضا أعترف لكم بالتفوق ، في كل الأصناف

القفرة .

تطلع إليه (جير) لحظة ، ثم ارتسمت على شفتيه

لبسامة قلابة عريضة ، وهو يقول :

- أشكرك يا مستر (أدهم) .. أشكرك كثيرا .

ثم أشار إلى (بوناسيو) ، مستطردا في زهو :

ازداد اعتقاد حاجبي (أدهم) ، في حين اندفع نحوه (دار) ، قائلا في حدة :

- هل سمعت يا رجل .. الأصح عن مكان (يائيل) ، أو ...

وقبل أن يتم عبارته ، انقضت عليه (أدهم) بفتة ، وأحاط عنقه بمساعدته ، وهو يقول :

- أو ماذا أيها الوغد .

توتر الموقف بشدة . و (أدهم) يستطرد :

- أعتقد أن هذا يقرب الموقف كله يا (جير) .

اعتقد حاجبا (جير) في غضب ، ثم أشار إلى (دار) ، وقال (بوناسيو) في صرامة :

- أزل هذه العقبة .

امتعت عينا (دار) في ارتياح ، وهتف (جولهي) :

- هل جنت يا (جير) ؟

ولكن (بوناسيو) ضغط زناد بندقيته بلا تردد ..

وانطلقت الرصاصة ..

واخترقت جبهة (دار) ، الذي امتعت عيناه في ألم وذهول ، قبل أن ينهاى جثة هامدة ، و (جير) ينفث دخان سيجارته ، قائلا :

- والآن ، هل نعاود مفاوضاتنا يا مستر (أدهم) ؟

اعتقد حاجبا (جير) في شدة ، وهو يجيب :
- أعلم ما تقصده يا مستر (أدهم) ، فكل الدراسات تؤكد أنه لا تضبيب ولا الموت يمكنهما إخافتك ، أو دفعك لنعل ما ترفضه .

ثم جنب (نينيا) إليه بفتة ، مستطردا في شراسة :
- ولكن ماذا عن الآخرين ؟

صرخت (نينيا) مذهولة . واعتقد حاجبا (أدهم) في صرامة ، وهو يقول :

- يياك أن تمس شعرة واحدة منها يا (جير) .

صاح (جير) غاضبا :

- بل سأجتز حلقها كله . لو لم تتعاون معي يا مستر (أدهم) .

ودفع (نينيا) جانبها ، وهو يصرخ :

- (بوناسيو) .. عند أول إشارة مني ، تمسف رأس هذه المرأة

شهقت (نينيا) في رعب ، وقال (أدهم) في غضب صارم :
- لقد حذرتك يا (جير) .

صاح به (جير) :

- وأنا أيضا حذرتك يا مستر (أدهم) .. إما أن تخبرني أين أجد (يائيل) ، أو تشاهد رأس هذه الجميلة ، وهو ينفجر أمام عينيك .

صرخ (جولهي) في غضب هائل :

- أنت مجنون .. مجنون تماما .. لقد قتلت (دار) بلا رحمة

أجابه (جير) في صرامة :

- اصمت يا رجل .. عملنا لا يعرف الرحمة .

اتحنى (جولهي) يلتقط مستمعه ، وهو يهتف :

- فليكن .. ما دام عملنا لا يعرف الرحمة ، فسلطك عنه إلى الأبد يا (جير) .

وصوب مستمعه إلى (جير) ، الذي صرخ .

- (يوناسيو) .

وبسرعة مذهشة ، أدار (يوناسيو) فوهة بندقيته

إلى (جولهي) ، وأطلق النار ..

وفي نفس اللحظة ، التي استقرت فيها الرصاصة في

صدر (لوي جولهي) ، تحرك (أدهم سيري) ..

لقد وثب إلى الأمام ، وركل (جير) في وجهه بقوة ،

ثم جنب (نيما) إليه ، هاتفا :

- اسرعي .

شهقت (نيما) ، وهي تعدو إلى جواره مذعورة ،

وهتف (جير) في ثورة :

- اقتلها يا (يوناسيو) .. اقتلها معا .

٢١٦

أطلق (يوناسيو) رصاصة ، تجاوزت رأس (أدهم) يستقرت في فمها ، فصرخت (نيما) :

- لا فائدة .. لا فائدة .

جنبا (أدهم) في سرعة أكبر ، محاولاً الإفلات من

الرصاصات الثانية ..

ولكنها فقدت توازنها بركة ..

ومع سقوطها ، اتحنى (أدهم) ، وسمع أزيز الرصاصات

الثانية ، وهي تهز فوق رأسه مباشرة ، و (جير) يصرخ

كالمجنون :

- اقتلها يا رجل .. اقتلها .

وتوقف (أدهم) لحظة واحدة ، محاولاً للتشال (نيما)

من سقوطها ..

ولم يكن (يوناسيو) بحاجة إلى أكثر من هذه اللحظة ،

تقلص محترف سابق ، ليصوب بندقيته المزدودة بمنظر

مقرب إلى رأس (أدهم) ، وهو يقول :

- لن تلتك الثالثة أبداً .

وفي مركز الخططين المتقاطعين ، في منظر بندقية

(يوناسيو) ، ظهر رأس (أدهم) في وضوح ، و ...

ودوت رصاصة في المكان ..

وأصابت هدفها ..

وبمئنتى الدقيقة

★ ★ ★

٢١٧

- إنه لم يبقَ لي .. أليس كذلك ؟

أجابه رجل المخابرات :

- بالتأكيد .. لقد تغيرت هيكلك تماماً ، بعد أن حلقت

لحيتك وشاربك ، وخلصت منظارك الطبي ، وأبدلت ثيابك .

قال (ويلبي) في سعادة :

- لو كان (جيمس بوند) في مكاني لفعل هذا .. أليس

كذلك ؟

أوما رجل المخابرات المصري برأسه إيجاباً ، وقال :

- بلى .. لقد تصرفات مثله تماماً .

تهللت أسارير (ويلبي) ، وهو يقول :

- هذا عظيم .. عظيم .

ناولوه رجل المخابرات المصري جواز سفر جديداً ،

يحوي صورته بتلك الهوية ، وهو يقول في هدوء :

- كانت هذه الخطوة شديدة الأهمية والخطورة كما رأيت

يا مستر (ويلبي) ..

الآن تأكد رجال (الموساد) أن هذا المسافر هو مستر

(ويلبي) شخصياً ، أما أنت فستتحول إلى شخصية جديدة .

التقط (ويلبي) جواز السفر الجديد ، وفتحته في لهفة ،

متسائلاً :

- وما الاسم الذي سأحمله الآن ؟

٢١٩

١٤ - وداعاً للخطر ..

(كراكس) .. الثاني حضر من يوليو ..

السادسة صباحاً ..

اتخذ حاجباً رجل (الموساد) في شدة ، وهو يتطلع

إلى وجه مستر (ويلبي) - الذي ألقى عليه نظرة لا مبالية -

ثم عاد بفصل وجهه في عنابة ، في حين تطلع رجل

المخابرات المصري إلى رجل (الموساد) ، وسأله في

هدوء ، بلهفة إسبانية سليمة :

- هل من مشكلة يا سيدي ؟

التفت إليه رجل (الموساد) ، وأجاب بسرعة :

- مطلقاً .. معذرة ، لو أن حقولي المباحث أزعجكما .

هز (ويلبي) كتفيه ، وقال في لامبالاة :

- إنه لم يزعجنا .

رمقه رجل (الموساد) بنظرة طويلة ، قبل أن يقول :

- هذا الفضل بالتأكيد .

ثم غادر المكان في سرعة ، فارتسم مستر (ويلبي) ،

والكتلت إلى رجل المخابرات المصري ، يسأله في جنل :

٢١٨

وشيق في معادة ، وهو يهتف :
 - آه .. (يوند) .. (جيرارد يوند) .. ثم لحن أحتم بالفضل
 من هذا .
 ثم مذهب يصفح رجل المخابرات المصري ، قائلا في
 حماس :

- لقد أمضى العمل معكم كثيرا ، وأنا رهن إشارتكم ،
 في أي عمل تطلبونه في المستقبل .. أبلغ الجميع هذا .
 صافحه رجل المخابرات المصري مبتسما . وهو يقول :
 - نحن نقدر لك هذا يا مستر (ويليس) .. شكرا جزيلا
 لتعاونك معنا . ونشكر دائما أننا لا ننسى أصدقاءنا أبدا .
 قال مستر (ويليس) في ارتياح :
 - أنا واثق من هذا .

وفي نفس اللحظة ، التي تطلق فيها عبارته ، كادت طائرة
 (كي . بي.يو . إيه) تحلق متجهة إلى (نيويورك) ، وعلى
 متنها (يانييل برونسكي) ..
 وهناك كانت في انتظاره طائرة مصرية . لتتلقه مباشرة
 إلى بر الأمان ..
 إلى (مصر) ..

★ ★ ★

انتفض جيم (نيما) في عنف ، مع دوى الرصاصة ،
 وارتفعت عيناه في ارتياح إلى وجه (أدهم) متوقفة
 أن ترى النمام تفرقه ، بعد إصابته بالرصاصة ..
 واتسعت عيناه في دهشة ..

لقد كان (أدهم) سليما صافيا ، معقود الحاجبين ،
 يتطلع في إيمان إلى حيث يقف (يوناسيو) ، فدارت
 عينها إلى حيث ينظر ، ووقع بصرها على كبير المفتشين ،
 وهو يترشح في قوة . والنمام تتدفق من بين شفتيه ،
 ويندفقه تسقط من يده . وسمعت (جير) يهتف :
 - اللثة !.. ماذا حدث ؟

ومع آخر حروف عبارته . هوى (يوناسيو) جثة
 هامدة ، وقهر من خلفه رجل آخر ..
 (باردو) ..

المفتش (باردو) ، الذي يمسك مسدسا ، يتصاعد الدخان
 من فوهته ..

وفي دهشة مستمرة ، هتف (جير) :
 - من أنت بالضبط ؟

أبرز (باردو) بظفاته ، وهو يقول :

- المفتش (باردو) أيها الأمريكي .. رجل الشرطة
 الوحيد ، الذي لم تنجحوا في رشوته .

ظهر زورق بخاري في هذه اللحظة ، وهو يقترب من
 الميناء القديم ، فأصاب (جير) في توتر :
 - وسندلع مقابل هذا يسخام .

سأله (باردو) :

- وما الذي فعله الرجل والفأة ؟

صاح (جير) :

- ليس هذا من شأنك .. يستدفع مليون دولار ، مقابل
 ابتعائك عن هذا الآن .

قال (باردو) في صرامة :

- من البشر ما لا يمكنك شراؤه بالمال أيها الأمريكي .

هتف (جير) :

- ربما كان لدينا ما هو أفضل من المال ، انظر .

ولس يده في جيب سترته الداخلي ، وأخرجها قبضة
 على مسدس ضخم ، أطلق النار منه نحو المفتش (باردو) ،
 صارخا :

- القتل مثلاً .

أصاب الرصاصة المفتش ، وانقلعه من مكانه ، في لحسن
 اللحظة ، التي استدار فيها (جير) إلى (أدهم) ، صائحا :

- وأنت أيضا يا مستر (أدهم) .

وأطلق رصاصه الثانية ..

نهض (أدهم) في هدوء ، وساعد (نيما) على النهوض ،
 وهي تسأله متوترة :
 - ماذا حدث ؟

أجابها في خفوت :

- يبدو أن الأمور انقلبت رأسا على عقب .

سأله مبهورة :

- كيف ؟

أشار إلى (باردو) ، دون أن يُطَق بحرف واحد ، في
 حين كان (جير) يقول متوترا :

- يبدو أنك لا تفهم ما يدور هنا أيها المفتش .. الأمر
 أكبر منك بكثير .. أكبر من جهاز الشرطة كله .. إنها
 صلية سياسية في المقام الأول .

قال (باردو) في سرية :

- ولكن كبير مفتشيننا اشترك فيها كأي مجرم أو قاتل
 أجير .

ثم أضاف في صرامة :

- ونال ما يستحقه .

لوح (جير) بيده ، قائلا :

- فليكن .. لن نتكلم في شئونكم الداخلية .. كل ما نريده
 هو الرجل والفأة .



فدفع (نينا) جانبا ، وهو يهبط :

— أتخش أنك تجدين: آل 201

وكمحترف ، كان المفروض أن يصيب (جير) عنقه ،
بمنتهى السرعة ..

ولكن المشكلة أن يواجه محترفا أيضا ..

لقد رأى (آدم) الرصاصة تصيب (بارلو) و (جير)
يلتفت إليه ، ففزع (نينا) جانبا ، وهو يهتف :
— أتخش أنك تجدين السباحة .

أطلقت الإسرائيلية صرخة ذعر ، قبل أن تسقط في
الماء . في حين وثب (آدم) جانبا ، وتغادى رصاصة
(جير) في براعة مذهلة . وهو يقفز إلى الأسفل ، ويغير
كسرها ضلع . ويقتض على الأمريكي ، قائلا :

— مساء كثيرة أريقت اللبلة يا (جير) .

ثم لكمه بكل قوته ، هاتفا :

— وهذا يكفي .

سقط الأمريكي أرضا . ولكنه لم يتخل عن مسامحه ،
فرلعه ثانية في سرعة ، وهو يصرخ غاضبا :
— من قال هذا ؟

انطلقت من مسامحه رصاصة أخرى ، كانت تصيب
(آدم) ، لولا أن ففز في الهواء ، ودار حول نفسه دورة
رأسية ، قبل أن يهبط على قدميه ، ويدخل الممسك من
يد (جير) ، قائلا :

٢٢٤

— أنا .

هيا (جير) ولقا ، فاستقبلته لكمة كالقنبلة في معدته ،
تلوه لها في خف ، وهو ينشئ إلى الأسفل ، ليتلقى بأخرى
ساحقة في أفه ، أجبرته على الاعتدال ، وعلى استقبال
لكمة ثالثة كالصاعقة ، هوت على فكه في عنف ، وأسقطته
أرضا بلا حراك ..

وفي اللحظة نفسها ، وصل الزورق البخاري إلى
الميناء القديم ، وهتف قائده :

— آنت بخير يا سيادة العقيد ؟

أجاب (آدم) ، وهو يسرع نحو البقعة ، التي سقط
عندها المفتش (بارلو) :

— نعم .. أنا بخير .. اتشل السيدة من الماء ، واستعد
للإقلاع .. سألتحق بك بعد قليل .

ألقى الرجل طوق النجاة لـ (نينا) ، التي تشبكت به في
قوة ، في حين بلغ (آدم) موضع المفتش (بارلو) ،
الذي استقبله ملوحا بيده ، قائلا :

— لو أنك هنا لإسعاني فاطمتن .. الرصاصة غاصت
في أقدام الشحم ، التي تغطي جسدي ، ولكنها لم تبلغ
موضعا قاتلا :

— ثم ضحك قائلا :

٢٢٦

— ليت زوجتي تعلم أن تلك الشحم ، الذي تطالبني يوما
بالتخلص منه ، هو الذي أنقذ حياتي .

فحص (آدم) موضع الإصابة ، قائلا :

— ولكنك تحتاج إلى إسعاف عاجل .

لوح المفتش (بارلو) بجهاز اللاسلكي ، قائلا :

— لقد طلبت حضورها بالفعل .

ثم سعل مرة أو مرتين ، قبل أن يسأل (آدم) في
جدية :

— أجبني بصراحة .. إنك لم تقتل المسيناتور (ستانلي) ..
أليس كذلك ؟

ابتسم (آدم) ، وهو يقول :

— لم أومن بالاغتيالات في حياتي قط .

تشهد (بارلو) في ارتياح ، قائلا :

— عظيم .. الآن فقط أشعر أنني أبيت ولجبي بأمانة .

قال (آدم) :

— ولكنك قتلت كبير المفتشين .

أوما (بارلو) برأسه إيجابا ، وقال :

— لذي أيلة تثبت إدانته ، وتورطه مع الأجانب ، ضد

مصلحة وطنه .. اطمئن .. كل شيء قانوني تماما .

سأله (آدم) :

٢٢٧

- وماذا عن (جبر) ؟

قال (بارنو) :

- اتقصّد ذلك الأمريكى ؟ .. سأعقله بالطبع ، حتى تتدخل السفارة الأمريكية للإفراج عنه .

سأله (أدهم) فى هدوء :

- وكىم يستغرق هذا فى المعتاد ؟

عقد (بارنو) حاجبيه ، وهو يسأله :

- كم تحتاج من الوقت ؟

التسم (أدهم) - مجيباً :

- أربع وعشرون ساعة ستكون أكثر من كافية .

قال (بارنو) فى حزم :

- اتفقتا .

صمت (أدهم) لحظة ، ثم نهض قائلاً :

- ولكن لماذا تفعل هذا ؟

تطلع إليه (بارنو) بضع لحظات ، ثم من كتفيه ، قائلاً :

- هذه الليلة كانت طويلة أكثر مما ينبغي ، وأعتقد

أنه حان الوقت لوضع نهاية لها .

ثم أضاف مبتسماً :

- وبالنسبة .. ذاكرتى تصاب أحياناً بضعف مباحث ،

فأتمنى بعض الأشخاص ، وخاصة أولئك الذين يرحلون

فى زوارق بخارية .

٢٢٨

التسم (أدهم) بدوره ، وهو يقول :

- هذا رائع .. بل أكثر من رائع .

وبينما استرخى (بارنو) فى مكانه ، فى انتظار وصول سيارة الإسعاف ، التى ترنّد صوت بوقها من بعيد ، كان (أدهم) و (نينا) يتتبعان بالزورق البخارى عن الميناء القديم ..

الميناء الذى شهد لحظات الصراع ..

ولحظات الخطر .

★ ★ ★



٢٢٩

أجابه (أدهم) فى هدوء :

- كان من الضرورى أن نجد وسيلة لمغادرة السفارة ،

وأن ننتج الإسراييليين بأننا نخطط لتحريرك بوسيلة معقدة .

أوماً (يانيل) برأسه ، قائلاً :

- فهمت .. كنت تخدعهم .

ثم أضاف فى صمت :

- وهم يستحقون القتل .

رمقه (أدهم) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

- أنتم جميعاً كنتم تستحقون القتل يا رجل ، ولا تسمع

أنك عشت حياتك كلها تسفك دماء الآخرين .

خفض (يانيل) عينيه ، وهو يقول فى أسى :

- لن يمكنك أن تتصور كم أشعر بالندم لهذا .

واندفعت (نينا) تقول :

- لقد وعدنى ألا يفعل هذا ثانية قط .

قال (أدهم) فى صرامة :

- لم يعد بإمكانه أن يفعل .

تنهّد (يانيل) ، وقال :

- صلتى ياسيد (أدهم) .. أنا مخلص تماماً فى التعاون

معكم .. لقد رتبوا لى عدداً من الجلسات ، لسماع كبل

ما لدى .

٢٣١

١٥ - الختام ..

(القاهرة) .. الثالث عشر من يوليو ..

السابعة مساءً ..

ألقت (نينا) نفسها بين ذراعى (يانيل) ، وانفجرت

باكىة فى حرارة . وهى تهتف :

- (يانيل) .. واحبييى (يانيل) .. لم أتصور قط أننا

سنلتقى ثانية .

احتواها فى صدره بحنان بالغ ، وهو يغمغم :

- ولكننا فلما يا عزيزتى .

ثم رفع عينيه إلى (أدهم) ، مستظرباً :

- والفضل للسيد (أدهم) .

نوح (أدهم) بكفه ، قائلاً :

- الفضل لله (سبحانه وتعالى) أولاً يا رجل .

سأله (يانيل) فى اهتمام :

- ولكن أخبرنى ياسيد (أدهم) .. لماذا كانت كل هذه

المطاردات ، والمناورات المعقدة ، ما دامت خططكم تعتمد

على إفراجى من المطار مباشرة ، بهذا الأسلوب المبكر

الدقيق ؟

٢٣٠

هز (أدهم) رأسه في بطء ، متعمداً :

- عظيم .. عظيم .

ثم استدار ليتصرف ، فاستوقفه (يائيل) ، قائلاً :

- سيد (أدهم) .. أريد أن أخبرك أنني تعاملت مع العديدين

من رجال المخابرات ، ولكنني أدركت ، بعد أن تعاملت

معك فقط ، ما الذي تعنيه كلمة محترف .. صنفني يا سيد

(أدهم) .. أنت المحترف الحقيقي الوحيد ، الذي تعاملت

معه ، في حياتي كلها ، وأنا أكرّر شكرى لك بشدة ،

على كل ما فعلته من أجلنا .

أجاب (أدهم) في هدوء :

- قلت لك إننى لم أفعله أبداً من أجلكما يا (يائيل) .

ثم استدار متصرفاً ، وهو يضيف في هزم :

- لقد فعلته من أجل (مصر) .

قالها ، وغادر المكان في سرعة وخفة ، دون أن يضيف

حرفاً واحداً ..

تماماً كما يفعل المحترف ..

المحترف الحقيقي .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

رقم الإبداع : ٣٦١٩